نظرات فى التجديد التفسيرى
مقتضيات وضوابط

للدكتور

عثمان أحمد عبد الرحيم

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

من ٦١ إلى ١٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور

عثمان أحمد عبد الرحيم

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

نظرات فى التجديد التفسيرى
مقتضيات وضوابط

المقدمة

لله رب العالمين الذى أعزنا بالإسلام وهدانا للإيمان وشرفنا فجعلنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وعصمنا من الضلالة وعلمنا بعد الجهالة وحن علينا بالتوفيق والهداية إلى أقوم طريق، أحمده حمدا كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذى لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره استغفار من يقر بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو.

خطة البحث

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم التجديد التفسيرى.

المبحث الثانى: مقتضيات التجديد التفسيرى.

المبحث الثالث: ضوابط التجديد التفسيرى.

المطلب الأول: ضوابط فى المفسر.

المطلب الثانى: ضوابط فى التفسير ذاته.

المبحث الرابع: معالم رئيسية فى التجديد التفسيرى.

المبحث الخامس: اتجاهات التجديد فى العصر الحديث.

- التفسير العلمى.
- التفسير البيانى.
- التفسير الاجتماعى.
- منهج الدراسة المصطلحية فى التفسير.

تمهيد

في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت الممالك الإسلامية بطوفان من الاستعمار الغربي، بينما المسلمون في هجوعهم لم يستيقظوا بعد كل اليقظة، الأمر الذي جعل هذا السيل من الطغيان يمتد من قطر إلى قطر في شرق العالم الإسلامي وغربه، وما إن انتصف القرن التاسع عشر حتى غداً معظم الأمم الإسلامية عبيداً للغرب الأوروبي وخولاً له.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأمة الإسلامية تعيش واقعاً أشد حرجاً من جميع الأوقات التي مر بها المسلمون منذ بزوغ فجر الإسلام. فلقد وقعت الأمة بأثرها تحت تأثير الغزو الاستعماري والاحتكاك الثقافي غير المرشدً، ولاسيما فيما يتعلق بالتصورات والعقائد والمفاهيم والنظرة إلى الإسلام، فانتشرت العلمانية التي تفصل بين الدين والدولة، ورمي الإسلام بالتخلف والرجعية، ومن ثم فُرضت اللغة الأجنبية كلغة بديلة للغة القرآن، وجاءت بدعة "الانبعاث" إلى الغرب، لهدم السدود المتراكمة بين الإسلام والصليبية، ولتكوين جيل منبهر بالغرب وسلوكه ومبادئه المزيفة.

وعرفت الصليبية كيف تخترق عقلية الشعوب من خلال أجهزة الإعلام ووسائل التي كسرت التقاليد، وقضت على الأعراف الدينية الاجتماعية، كما لم يغفل أعداؤنا عن دور المرأة المحوري وأنها مدار الحياة الاجتماعية، وأن الوصول إليها وإفسادها هو فساد للأسرة والمجتمع، فتوجهت إليها السهام والخطوب في محاولة لنزع حجابها، وإخراجها من بينها وخداعها بمبدئ جوفاء " كالمساواة" و "حرية المرأة" و "الحقوق السياسية".

ولا شك أن هذه الوسائل والأساليب الخبيثة تركت أثراً سلبياً على الأمة الإسلامية، الأمر الذى اقتضى ضرورة حدوث وثبة حقيقية تنهض بها الأمة من كبوتها لتعيد الدين إلى مكانته فى قلوب الناس وحياتهم، وتنقية مما علق به، وتراكم عليه من مفاهيم خاطئة وتصورات مغلوطة، وتقاوم الهجمة الصليبية الفكرية التى أحاطت بعقول الناس وأفكارهم.

من هنا نشأت الصحوة الإسلامية المباركة، وأفرزت علماء ربانيين أخذوا على عاتقهم دعوة الناس إلى دين ربهم، وإحياء السنن المنسية، والفرائض المعطلة، والرجوع إلى صفاء العقيدة ونقاء الإسلام، وحلاوة الإيمان. إذ التجديد سنة من سنن الله الماضية فى دينه "فإن من طبيعة الحياة الإنسانية أن تركد وتأسن، ويطرأ عليها بمرور الزمن ما يكدر صفاءها، فلا يكاد الناس يستقيمون على الإيمان والتوحيد، حتى تبدأ عوامل الانحراف تتسرب إليهم شيئاً فشيئاً تسرب الماء الآسن إلى المشروع الروى، فإن نقاء العقيدة لا يلبث أن يشوبه شئ من ذرائع الشرك ووسائله وأسبابه ثم تظهر بعد حين النتائج المخوفة من وراء تلك الذرائع والوسائل والأسباب، ولذلك اقتضت حكمته تعالى أن يرسل رسله وأنبياءه إلى البشرية تتراً متعاقبين، يقودون خطامها إلى السعادة فى العاجل والآجل، فكان منهم من يأتى متعاقبين، يقودون خطامها إلى السعادة فى العاجل والآجل، فكان منهم من يأتى بشريعة

إلهية جديدة، ومنهم من يأتي لتجديد ما أندرس من شريعة نبي قبله، حتى ختم الله الرسالات برسالة محمد ﷺ[1].

فإذا كان ناس من الناس ينحرفون في أعظم الأمور وأخطرها في قضايا الاعتقاد في حياة رسلهم عليهم الصلاة والسلام كقول فريق من بني إسرائيل لموسى ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[2]، وكقول بعض الصحابة في بداية عهدهم بالإسلام لرسول الله ﷺ "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"[3]، فكيف وقد ختمت الرسالات، وأغلقت أبواب الوحي وكيف بما دون ذلك من قضايا وأحكام وتشريعات؟.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون العلماء هم ورثة الأنبياء وحملة الشريعة ومشاعل الهدى وهم الذين يضيئون للناس طريقهم ويحملون النور في دروب الظلام ويجددون للناس أمر دينهم.

قال ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها"[4].

---

(1) التجديد في الإسلام، من إصدارات المنتدى بلندن تحت رقم ١ ص١٨.

(2) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

(3) عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: "هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .. "أخرجه الترمذي، كتاب الفتن ب١٨ ح٢١٨٠.

(4) رواه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم ١٠٩/٤ وصححه الحاكم والبيهقي وابن حجر والسيوطي، انظر: عون المعبود ٣٩٦/١١، وفيض القدير ٢٨٢/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٤٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٠١.

المبحث الأول

مفهوم التجديد

التجديد في أصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصوراً تجتمع فيه ثلاثة معان متصلة، لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ويستلزم كل واحد منها الآخر:

أولها: أن الشئ المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً، وللناس به عهد.

ثانيها: أن هذا الشئ أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً خلقاً.

ثالثهما: أن ذلك الشئ قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق[1].

أما اصطلاحاً: فقد اختلف العلماء في تعريفه[2]، فقيل التجديد هو "إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما"[3].

---

[1] جاء في معاجم اللغة: تجدد الشئ يعني صار جديداً، والجديد هو نقيض الخلق، وجددت الثوب فهو مجدود جديد أي مقطوع، ومن هذا قولهم ثوب جديد أي كأن ناسجه قطعه الآن، وسمي كل شئ لم تأت عليه الأيام جديداً فالجديدان الليل والنهار لأنهما لا يبليان أبداً وقولهم جدد الوضوء وجدد العقد يعني إعادة الوضوء، وتكرار العقد وتأكيده، انظر الصحاح للجوهري ٤٥١/١، ولسان العرب ١١١/٣، ومقاييس اللغة ٤٠٩/١، ومفهوم تجديد الدين د. بسطامي سعيد ص١٤-١٥.

[2] تناثرت آراء السلف عن التجديد في كتب الحديث وشروحها. ولأن مصطلح التجديد نشأ عن الحديث النبوي المروي في ذلك، فإن كتب الحديث التي خرجت هذا الحديث وشروحها تضمنت طائفة من الآراء حول التجديد، على أن تعريف التجديد نفسه لم يأخذ حيزاً كبيراً في حديث العلماء عن التجديد، لأن كل عنايتهم كانت موجهة بالأساس -وفي المقام الأول- إلى بيان آرائهم حول من يصلح أن يحوز لقب مجدد.

[3] عون المعبود شرح سنن أبي داود ٣٦٨/١١.

وقيل تجديد الدين "هو إحياء وبعث معالمه العلمية والعملية التي آياتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف"[1].

وبذلك فإن مجمل تجديد الدين يعنى:-

- السعى لإحيائه وبعثه وإعادته إلى ما كان عليه فى عهد السلف الأول.
- حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية حسب الضوابط والمعايير التى وضعت لذلك.
- من مستلزمات التجديد سلوك المناهج السلمية لفهم نصوص الدين وتلقى معانيها من الشروح التى قدمتها لها المدرسة الفكرية السنية.
- غاية التجديد جعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة، والمسارعة لرأب الصدع فى العمل بها وإعادة ما ينقض من عراها.
- ومن توابع ذلك الاجتهاد وضع الحلول الإسلامية لكل طارئ وتشريع الأحكام لكل حادث، وتوسيع دائرة أحكام الدين لتشمل ما كان نافعاً متفقاً مع اتجاهات الدين ومقاصده وكلياته.
- ومن خصائص التجديد تمييز الدين مما يلتبس به، وتنقيته من الانحرافات والبدع، سواء كانت هذه الانحرافات ناتجة عن عوامل داخلية فى المجتمع المسلم، أو كانت بتأثيرات خارجية[2].

---

[1] مفهوم تجديد الدين، د. بسطامى سعيد ص٣٠.

[2] المرجع السابق ٢٩-٣٠.

• إذن فالتجديد ليس تغييراً فى حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم ولكنه تعبير للمفهومات المترسبة فى أذهان الناس عن الدين وإعادته إلى ما كان عليه فى عهد السلف الأول[1].

التفسير قادر على إسعاف البشرية بما تحتاجه وما يصلح حالها وما تطلبه وضعيتها.

كما يعنى التجديد التفسيرى أيضاً: "استلهام آيات القرآن الكريم، التوجيه والهداية فى كل ما يعترض حياتنا وما يمس العقيدة والأخلاق أو يدخل فى بناء مجتمعاتنا وسياستنا واقتصادنا، بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاء لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهدايات؛ على أن يكون رائدنا فى استلهام النص ألا نفرض عليه ثقافاتنا وعلومنا أو نخلع عليه من فلسفاتنا وآرائنا، بل أن نأخذ من النص –مستعينين بما تقدم- ما يعطينا من قيم أو يدل عليه من آراء ومعتقدات أو يوصى به من أفكار علمية أو اجتماعية، حتى ولو لم نتفق مع ما نعلمه من ذلك[2]، وذلك بهدف إعادة التوازن إلى الشخصية المسلمة ورسم الصورة الصحيحة أو الكاملة للغرض الأساسى الذى نزل القرآن الكريم من أجله والذى يتمثل فى بناء الشخصية المسلمة وإنشاء جيل على قواعد هذه التربية الربانية، تجعله صورة ناطقة عن

---

[1] التجديد فى الإسلام، من إصدارات المنتدى، لندن ص١٣، بتصرف.

[2] اتجاهات التجديد فى مصر فى العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ص: ٨٩.

الحق الذى نزل به القرآن وبناء أمه لها خصائصها ومزاياها التى تجعل منها خير أمة أخرجت للناس[1].

غير أن ما يستوجب التنبيه عليه هنا هو أن المقصود بالتجديد التفسيرى، تجديد نظرتنا – نحن المسلمين – إلى القرآن، وليس معناه أن نصوص القرآن تغيرت مدلولاتها أو أن حقائقه تغيرت أو تطورت فى ذاتها، فإن الذى تغير وتطور هو عقل الإنسان الذى يتسع إذا استنار، وفكره الذى يتضح إذا استقام، مع كثرة البحث والتجريب، فيدو له القرآن على حقيقته الأصلية الخالدة.

إذن فالتجديد فى التفسير لا يعنى إطلاقاً "إخضاع الآيات القرآنية لما طرأ على الأفكار والآراء والمذاهب الجديدة، ومحاولة تلقى النصوص القرآنية على أساس الفلسفة تحت دعوى التنوير تطوير المفاهيم القرآنية ولى أعناق النصوص القرآنية للتوافق مع هذه الفلسفة البشرية، أو أن يجعل القرآن لقمة سائغة لكل ذى جاه أو سلطان، متخذين من التأويل وسيلة إلى الاستجابة لكل هوى، إن ذلك هو التطاول على القرآن والانحراف به، ممن أصابتهم لوثة الظهور بمظهر المجددين أو المتحررين وهم فى الحقيقة متحللون، ولهم من القردة والجرأة معاً إلى تأويل آيات القرآن الكريم ما يساعدهم على تلبية كل الحاجات والتمشى مع كل الظروف، ولا مانع عندهم من أن تساير الآيات القرآنية اليوم وضعاً من الأوضاع تنقضه فى الغد القريب أو البعيد[2].

---

[1] الفكر الدينى فى مواجهة العصر، د. عفت الشرقاوى ص: ٢١٣.

[2] نحن والقرآن، محمد عبد الله السمان ٦٦.

المبحث الثانى

مقتضيات التجديد التفسيرى

"وإذا كان التجديد ينسحب على مجالات الدين المتعددة ليشمل تجديد العقيدة بتجريدها من كل ما التصق بها من فلسفات بشرية وآراء عقيمة — نأت بها عن البساطة والوضوح وأخلتها فى متاهات جدلية عقيمة — وكذلك يشتمل تجديد علوم الحديث من حيث ربطها بالدراسات العلمية، والأوضاع المستجدة، كما تشمل عملية التجديد مجال الفقه بتنقيح مسائله وجزئياته وإعمال أصوله وقواعده فى النوازل والمستجدات لتعالج إشكاليات الحياة المعاصرة — من خلال الاجتهاد فى ضوء المقاصد العامة للشريعة، وفى إطار القواعد الكلية للدين — إذا كان التجديد قد اتسعت جوانبه لتشمل كل هذه المجالات والعلوم الشرعية، فإنه — بلا شك — سيتسع حتى يحتضن مجال التفسير من باب أولى، وذلك أن القرآن هو قطب رحى الحياة الإسلامية، فكل العلوم الشرعية راجعة إلى القرآن ومقاصده ومراميه، وما يريده من البشر"[1].

هذا بالإضافة إلى أن أى وثبة حقيقية تتطلع إليها الأمة أو ينهض بها المجتمع إلى الأمام لا تتم إلا بباعث روحى عميق يرجع معه الناس إلى حقائق الدين الخالصة يستلهمونها، ويزيحون عنها كدر الانحلال، وزيف الانحطاط الذى ران عليها، وبغير هذا الأساس الروحى العميق لا تستطيع أمة أن تصنع نهضة مهما يكن لها من القوة والنفاذ، لأن هذا الأساس الروحى ينبوع فى

---

[1] الدين، د. دراز ص: ٩٠.

النفس البشرية لا يغيض، وهو المعبر عن حاجات هذه النفس في مختلف ملكاتها ومظاهرها[1].

ويؤكد ذلك تاريخ التفسير، فلقد كان النص القرآني هو الأساس القوى الذى حاول المصلحون أو مدعو الإصلاح دعم موقفهم به، فحيثما هبت أعاصير الزندقة والموجات الإلحادية كان المفسرون يهبون لمواجهتها، مستخدمين النص القرآني فى الرد عليها، بل إن القرآن ظل قاعدة ثقافية مهمة فى الحضارة الإسلامية على مر العصور — كالمفهومات المختلفة فى المجتمع الإسلامى — ومستمدة من القرآن وقائمة على قاعدته الروحية، ولقد كان القرآن بذلك المرجع العام لنشاط الحضارة الإسلامية من جميع جوانبها، كما أن القرآن بحكم إعجازه البيانى ومضمونه الأدبى كان محوراً ومصدراً لملكات المسلمين النظرية والأدبية[2].

ومن ثم فإن التجديد فى منهجية التفسير يعد من أدق وأخطر مجالات التجديد، لأنه يعنى معالجة ما تعيشه الأمة الإسلامية من أسقام وعلل وأخطاء، فى ضوء ما يستلهم من خطاب الله تعالى للبشرية.

كما يعد التجديد فى منهجية التفسير ضرورة فرضها واقع التفسير خلال طور التفريع، فقد غلب عليه الجمود الذى غطى محاولات التعامل مع النص القرآنى، فأصيب فهم القرآن الكريم بكثير من التجاوزات وغدت تفاسير القرآن عاجزة عن أن تسعف المسلم الحديث، بما ينبغى أن يبنى عليه مستقبل

---

(1) تفسير المنار ١/٣٠.

(2) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام ١/٤٦٥ تعليق من مجلس إدارة الأزهر.

أمته فى الحياة الجديدة المشككة فى الإيمان والدين، والفوارة بكل جديد من العلم والمعرفة، كما غدا المسلم الحديث هو الآخر عاجزاً عن اكتشاف الهداية القرآنية المبددة والمغمورة بين ركام الروايات والأسانيد فى التفاسير الأثرية أو التائهة بين مذاهب التفاسير الاجتهادية[1]، إذ إن أغلب كتب التفاسير التى ألفت خلال عصور الركود والتأخر لا تخرج عن تلخيص لجهد سابق أو شرح أو تعليق عليه، حتى انحدر النشاط التفسيرى إلى مستوى الفردية والوقوف عند تكرار المنقول ويكفينا للتعرف على هذه الحقيقة أن نلقى نظرة عابرة على التفاسير التى ألفت فى هذه العصور الراكدة وخاصة تلك الفترة التى أصاب الضعف فيها الدولة الإسلامية.

فالبغوى تفسيره مختصر من الثعلبى، وتفسير الجواهر الحسان هو اختصار لتفسير المحرر الوجيز، والدر المنثور عبارة عن جمع ما نقل عن السلف بصحيحه وسقيمه دون إضافة أو زيادة أو حتى تعليق، والبيضاوى تفسيره اختصار للكشاف، ومفاتيح الغيب، وتفسير الراغب الأصفهانى، ومدارك التنزيل للنسقى . كل ذلك تلخيص للبيضاوى والكشاف، ولباب التنزيل اختصره الخازن من معالم التنزيل للبغوى مع حذف الأسانيد، وتجنب التطويل والإسهاب، والبحر المحيط معظمه من تفسير الزمخشرى[2].

وليت أهل التفسير كانوا يطلبون لأنفسهم معنى تستقر عليه أفهامهم فى العلم بمعانى الكتاب، ثم يثبتونه فى الناس ويحملونهم عليه، ولكنهم لم يطلبوا

---

[1] التجديد فى الإسلام، من إصدار دار المنتدى، لندن، ص: ٣٨.

[2] التفسير والمفسرون للذهبى ٢/١٨٠.

ذلك، وإنما طلبوا صناعة يفاخرون بالتفنن فيها ولا يخرجون لإظهار البراعة في تحصيلها عن حد الإكثار من القول واختراع الوجوه من التأويل والإغراب في الإبعاد عن مقاصد التنزيل[1].

ولقد ظل الأمر على هذا الحال، وبقي التفسير واقفاً عند هذه المرحلة، مرحلة الركود والجمود لا يتعداها ولا يحاول التخلص منها، حتى جاء عصر النهضة العالمية الحديثة[2].

فنهض فريق من العلماء ليقوموا بعبء عملية تجديد التفسير، فاتجهوا إلى القرآن الكريم يتلونه حق تلاوته وينظرون فيه على ضوء ما وصل إليه اجتهادهم من الإلمام بالمستجدات الفكرية والعلمية التي جاء بها التطور الفكري والتقدم العلمي، ولم يكن للسابقين بها عهد، فأخذوا يستنبئون القرآن عن هذا كله، بعد أن أخذوا في التخلص من هذا الاستطرادات العلمية التي حشرت في التفسير حشراً، ومزجت به عن غيره ضرورة[3].

كما أن مقتضيات التجديد التفسيري ما تقرر في العقيدة الإسلامية لدى كل مسلم أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وأن أثره الإصلاحي لا يقتصر على زمن نزوله، بل هو ممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن خطاب الله لمن كانوا في زمن التنزيل لم يكن مقتصراً على الصحابة ولا مخصوصاً بهم دون غيرهم من الأجيال المتوالدة المتعاقبة، وأن هداية القرآن

---

[1] تفسير المنار ١/٢٥-٢٦.

[2] التفسير والمفسرون، الذهبي ٢/١٨٢.

[3] اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ١٩٣.

عامة وباقية، وتتجدد في أسلوبها بتجدد المجتمع الإنساني الذي يأخذ من هذه الهداية القرآنية ما يناسبه في عصره، لما كان هذا مقرراً في اعتقاد كل مسلم فإنه لم عن ذلك أن يجدد المفسرون والمشتغلون بالقرآن نظرتهم إلى القرآن وأن يستلهموا منها ما يقرر هذا المعتقد ويؤكده، من خلال الانتفاع بما أتى به القرآن من تحقيق مصلحة للناس في العاجل والآجل، وأن يجعلوا أثره واضحاً ليعيشه الناس، ويحسوا به، ويتفيؤوا ظلاله، وأن يعلموا أن عدم تجديدهم لمناهج التفسير فإنه يعد جريمة في حق القرآن.

يقول الزركشي: "وفي القرآن علم الأولين والآخرين، وما من شئ إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى"[1].

ويزيد الغزالي الأمر وضوحاً فيقول "وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها ... فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منهى الإدراك فيه، والسماع لابد منه في ظاهرة التفسير أولاً، ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط"[2].

"فإذا كان القرآن هو آخر الكتب السماوية المنزلة والمقدر له أن يظل مهيمناً على شؤون حياتنا جميعها فيكف يمكن أن يوهب له الخلود إذا كان فهمه منذ بضعه عشر قرناً أن يبقى إلى اليوم الذي تطورت فيه العلوم وتبدلت

---

[1] البرهان في علوم القرآن ١١٨٩/٢.

[2] إحياء علوم الدين ٤٣٢/١ وما بعدها باختصار يسير.

خلاله الأحوال؟ وماذا في ما يعترض حياتنا من جديد وهي بطبيعتها ناحيـــة متطورة؟ وفي كل يوم تَجدّ أمور وتبتكر عقول، لاسيما وأن القرآن قد اختصه الله بتجديد معانيه بكثرة النظر فيه وتكرر تدبره وثرائه بالمعـــاني والأفكـــار والعلوم والمعارف التي يحملها النص الواحد، حتى لكأنك تقرأ النص فتجد في ألفاظه من المعاني والأحكام ما يتسابق به مغزاه إلى نفسك دون كد خـــاطر، ولا معاودة حديث ... ويخيل إليك أنك قد أحطت به خبراً ووقفت على معنـــاه محدوداً. هذا ولو رجعت إليه كَرَّه أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد غـــير الذي سبق إلى فهمك، حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهاً عدة، كلها صحيحة أو محتملة للصحة، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلـــع منه شعاعاً.

فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوانها كلها، فلا تـــدري مـــاذا تأخذ عينك وماذا تدع ... وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً من الزمن يأخذ كل منه مـــا يسر له بل ترى محيطاً مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد والأجيال"[1].

الأمر الثالث الذي يقتضي التجديد هو إثبات التوافق بيـــن نصـــوص القرآن من جهة، وبين ما يثبت من الحقائق العلمية التي لا يقبل ثبوتها أي نوع من الشك[2]، وذلك أن من جملة مقاصد نزول القرآن إلى البشرية أن يقوم في فم الدنيا آية شاهدة برسالة سيدنا ﷺ، وأن يبقى على جبهة الدهـــر معجـــزة خالدة تنطق بالهدى ودين الحق ظاهراً على الدين كما قال تعالى: ﴿سَـــنُرِيهِمْ

---

[1] النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز ص: ٦٠.

[2] منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ص: ٢٨١.

آيَاتِنَا ﴾[1]، المفسرون لإثبات هذه الوجوه الجديدة التى تحقق هـــذا المقصـــد العظيم الذى من أجله أُنزل القرآن، وذلك من خلال إبراز ما ورد فى القـــرآن من إشارات وإلماحات يتقرر بها أن خالق هذا الكون هو منزل القرآن فإن من أعجب عجائب القرآن التى لا تنقضى أنه نزل بأســـلوب لا يصـــدم البدهـــيَّ المسلَّم به عند الناس، ولا ينافى حقائق الأشياء، لئلا يكون داعياً إلى تكذيبه إذا يسر الله سبيل الكشف عنها لأولى العلم فى مستقبل العصور، والدليل على أن القرآن مهيأ لإحداث الربط بين نصوصه وبين الاكتشافات والحقائق العلمية — التى ثبتت كونها حقيقية وليست نظرية أو رأياً علمياً — أن رسول الله ﷺ لم يفسر القرآن كله، وإنما فسر ما يتعلق بالتكليف الإيمانى، وترك ما يتعلق بغير التكليف للأجيال القادمة حتى يتيح الله لعباده من أسرار آياته فى الأرض مـــا يشاء، فيكون عطاء الله متساوياً مع قدرة العقول[2].

وهذه الخاصية المعجزة — أعنى عدم تصادم القرآن مع العلم والعقـــل وقت نزوله وعدم تصادمه أيضاً معهما بعد تقدم البحـــوث والاكتشـــافات — يقتضى مزيداً من البحث النظرى المرتكز على ثوابت وقيم ما تم تقريره فـــى علم أصول التفسير[3].

---

[1] سورة فصلت: ٥٣.

[2] النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز ص: ٨٧.

[3] المرجع السابق ص: ٩٠.

المبحث الثالث

ضوابط التجديد التفسيري

لاشك أن التجديد التفسيرى مسألة فى غاية الحساسية بل والخطـــورة أيضاً، فهى تعنى ربط واقع الأمة وما استجد فيه من أحوال وقضايا فى ضوء ما يُستلَهم من خطاب الله تعالى للبشرية، فإنه من الضرورة أن يتـــم التجديـــد التفسيرى وفق ضوابط تحكمه وتجعله يسير وفق منهجية منضبطة بـــأصول التفسير وعلومه، لاسيما وأن إطلاق القول بالتجديد فى التفسير يحتمل وجوهـاً ومفاهيم تختلف باختلاف المقاصد والثقافات.

ويزيد الأمر خطورة أن التجديد أصبح يطلق على أشكال من التعـامل مع النص القرآنى أقرب ما تكون إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والتعـــدى على ثوابت الإسلام، بل وتمريغ لعناصره الفكـــرة الإســـلامية فـــى أوحـــال العصرية والتقدم وإخضاع التفسير للون معين من التفكير سواء فى هدفـــه أو فيما يصدر عنه!

ووصل الأمر إلى حد أن استغل المستشرقون فقر التجديد التفسيرى — وحاجته إلى ضوابط تحكمه وأصول تحدده — فى محاولـــة تشـــويه مفـــهوم التجديد "حين زعموا أن الإسلام نفسه يتطور وأن موروثات القرون الجـــامدة فشلت فى مسايرة المدينة وروح الحضارة العصرية كما يشهد واقع المســلمين الهزيل، وأنه لا مفر من الخضوع لقانون التطور الحاكم للحياة لينجـــوا مـــن أسباب الضعف. ولهذا فإنه يجب عليهم أن يجددوا الإسلام من خلال تطويـــر القرآن نفسه كمرجعية عليا، وحيث إن النص محفوظ مصان ولا يجوز مساسه

بحال، فيجب أن نساير العصر ونحن نفهم هذا النص فنتلقاه بروح العصرانية والتنوير وحرية الفكر[1].

لذلك لزم أن تكون لعملية التجديد التفسيرى ضوابط تشمل:

أولاً: ضوابط فى المفسرً ذاته.

ثانياً: ضوابط فى ممارسة التجديد التفسيرى.

أولاً: ضوابط المفسر المجدد

الضابط الأول: صحة الاعتقاد

فإن أول ما يشترط فى المفسر المجدد أن يكون صحيح الاعتقاد، سائراً على منهج أهل السنة[2]، والجماعة[3]، سالكاً سبيلها، فهى الطائفة

---

[1] اتجاهات التجديد فى العصر الحديث، د. إبراهيم الشرقاوى ص: ١٧٤.

[2] السنة فى اللغة: الطريقة والسيرة، وفى اصطلاح علماء العقيدة، هى الهدى الذى كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه علماً واعتقاداً وقولاً وعملاً، وهى السنة التى يجب اتباعها ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، وتطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات كما تطلق على ما يقابل البدعة، انظر: لسان العرب ٢٢٥/١٣، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٣، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيميه ٧٧.

[3] الجماعة فى اللغة: مأخوذة من مادة "جمع" وهى تدل على الجمع والإجماع والاجتماع وهو ضد التفرق، والجماعة: هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما. انظر: لسان العرب مادة "جمع" ٥٣/٨-٦٠ والجماعة فى اصطلاح علماء العقيدة: هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة، انظر: شرح العقيدة الواسطية ٦١، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٨٢، ومسائل فى العقيدة لابن عثيمين ٥٣.

المنصورة، والفرقة الناجية[1]، الظاهرة على الحق، القائمة بـــه، المستمســكة بهدى نبيها محمد ﷺ ومن تبعه ووالاه وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى المتبعون لهم بإحسان ممن تلقتهم الأمة بالقبول، ومن سلك سبيلهم وسار علـــى هديهم في الاعتقاد والقول والعمل[2].

يقول الطبري في مقدمة تفسيره: "... اعلم أن من شرطه (أي المفسر) صحة الاعتقاد أولاً ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموضاً عليه في دينه، لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين؟ ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عـــن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى، ولأنه لا يؤمـــــن — إن كان متهماً بالإلحاد — أن يبغي الفتنة، ويغر الناس بليِّـــة وخداعـــه، كـــدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وإن كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه علـــى ما يوافق بدعته كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنـــف الكتـاب فـــي التفســير، ومقصوده منه الإيضاح ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى[3].

---

[1] لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى يعرفون فيها ومنها أهل السنة دون إضافة الجماعة وأهـــل الجماعة، السلف الصالح، أهل الأثر، أهل الحديث، أهل الاتباع، انظر: شريح الواســطية ٩-١٠، شرح العقيدة الطحاوية ٥١٢، وذم التأويل للمقدسي ٣٣١.

[2] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٦١، ومسائل في العقيدة لابن عثيمين ٥٣، والمنتقى من شـــرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢٣٥ وما بعدها، والعقيدة الواسطية لابن تيميه ١١٣ ومـــا بعده، معارج القبول شرح سلم الوصول لحافظ حكمي ١١٣ وما بعدها.

[3] جامع البيان للطبري ١٨/١.

الأصول العامة لمعتقد أهل السنة والجماعة:

ولعقيدة أهل السنة والجماعة أصول اعتقاديه عامة يجب على المفسر أن يكون ملماً بها، عارفاً لها وهى:

أولاً: مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة هى: القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، والإجماع المعتبر. أما الفطرة والعقل السليم فهما رافدان مؤيدان لا يستقلان بتقرير تفصيلات العقيدة وأصول الدين، فهما يوافقان الكتاب والسنة، ولا يعارضانهما، وأن الوحى قد يأتى بما تحتار فى إدراكه العقول، ولا يأتى بما يقطع باستحالته العقول.

ثانياً: المرجع فى فهم نصوص العقيدة الواردة فى الكتاب والسنة هم الصحابة والتابعون ومن اقتفى أثرهم من أئمة الهدى والدين.

ثالثاً: أصول الدين والعقيدة توقيفية، ومن اعتقد أنه يسعه الخروج عما جاء به رسول الله ﷺ من شرع ودين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

رابعاً: أمور العقيدة غيب، ومبناها على التسليم بما جاء من الله تعالى وعن سول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، ما عقلناه منها وما لم نعقله، فمن لم يسلِّم فيها لله تعالى ولرسوله ﷺ لم يسلم دينه.

خامساً: لا يجوز الخوض والجدل والمراء فى العقيدة ونصوصها لأنها غيب، إلا بقدر البيان وإقامة الحجة، مع التزام منهج السلف فى ذلك[1].

---

[1] انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعرى، ومنهاج السنة لابن تيميه ٣/١٨، ومجموع الفتاوى المجلدان ٩، ١٠، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ١٨٠.

هذه هى أهم القواعد العقدية التى تحفظ فهم المفسر المجدد، وتكون له سياجاً من أن يذهب به تفكيره يمنه أو يسره.

ولو نظرنا نظرة سريعة إلى مسيرة الحركة التفسيرية فإننا سنجد مدلا أثر الضوابط الاعتقادية فى سلامة المفسر وتفسيره، فلقد كانت صفحة التفسير فى قرونها الأولى بيضاء نقية، وذلك حينما كان "يجرى التفسير فى زمن النبوة إلى زمن إتباع التابعين على طريقة تكاد تكون واحدة، وكل عصر يحمل تفسيره من سبقه بطريق الرواية والسماع، وفى كل عصر تتجدد نظرات تفسيرية، وهذه النظرات لا تخرج عن كونها محاولات عقلية، ونظرات اجتهادية فى حدود قانون اللغة، وإطار الشريعة، ولم تتجاوز دائرة الرأى المحمود إلى دائرة الرأى المذموم الذى لا يتفق وقواعد الشريعة. ظل المر هكذا إلى أن ظهرت المذاهب المتنوعة كالرافضة والجهمية والخوارج وغلاة الصوفية"[1].

ومه أنه لا خلاف بين أحد من المفسرين وغيرهم على أن العقائد والأحكام وأصول المعارف إنما تؤخذ من القرآن الكريم وأن ما جاء فى القرآن يسلِّم له الجميع ويستجيب له كل أحد[2].

مع ذلك وجد من يحاول نصرة مذهبه من خلال إخضاع الآيات القرآنية له، والميل بها مع رأيه وهواه، وتأويل ما يصادمه منها بجعلها غير منافية لمذهبه، ولا متعارضة معه، ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأى

---

[1] التفسير والمفسرون للذهبى ١/٣٦٤.

[2] فصول فى علوم القرآن، د. عدنان زرزور ص: ٢٣٨.

المحمود. إلى دائرة الرأى المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يسعون فى حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم بما أخرجوه للناس من تفاسير، حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم ومقتضى نزعاتهم ونحلهم[1].

ولا شك أن هذا من أكبر أسباب الضلال وتنازع الزيغ ومصادر الانحراف عن سواء الصراط: أن يعمد أحدهم إلى تفسير القرآن ورأسه مشحون بأفكار وتصورات، وقلبه مؤمن بقضايا وتصديقات نشأ عليها فى بلده، أو تلقاها عن شيخه درج عليها طفلاً وشب عليها يافعاً، واستقر عليا رجلاً، واستمر عليها كهلاً، فهو يقرأ قراءة موجهة، فما وافق عقيدته وأفكاره — ولو بتكلف وتمحل — أبرزه وضمه، وما لم يوافقه أسقطه وتناساه، وما كان مناقضاً فى وضوح وصراحة تعسف فى رده وتأويله! وذلك كتفاسير المعتزلة حينما حرروا عقائدهم وحرروا قضاياهم ثم حملوا ألفاظ القرآن عليها، الأمر الذى دفع ابن القيم إلى أن يقول عنها: "إنها زبالة الأذهان ونخالة الأفكار، وعفار الآراء، ووساوس الصدور فيملؤون به الأبدان سواداً، والقلوب شكوكاً، والعالم فساداً.." [2].

وليس الأمر خاصاً بتفاسير المعتزلة ولا مقصوراً عليهم، بل ذلك موجود عند التفاسير المنحرفة كلها كتفاسير الرافضة والخوارج، وغلاه المتصوفة، والباطنية. والمقام لا يتسع لذكر الأمثلة على ذلك، ولكن يكفينا أن نعلم أن فساد العقيدة يؤدى إلى انحراف التفسير من ناحيتين:

---

[1] التفسير والمفسرون للذهبى ١/٣٦٥.

[2] كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوى ص: ٢٥٨.

الأولى: اعتقاد المفسر لعقيدة أو لرأى ثم يحمل القرآن عليه ليستدل له على صحة مذهبه أو تأويله، لاسيما عند مصادقة النص القرآني لمعتقده[1].

الثانية: أن فساد العقيدة يؤدى إلى انحراف الفهم وعدم سلامته عند النظر في الآيات والتأمل فيها فيلزم عنه فساد التفسير من باب اللزوم[2].

ومن ثم فإنه "يستحيل أن يكون المفسر المجدد من غير الطائفة القائمة بأمر الله، المتبعة لشرعه السائرة على هدى نبيه"[3]، ولذلك لما عد ابن الأثير[4]، الرافضة من المجددين في جامع الأصول[5]، رد عليه صاحب عون المعبود كلامه قائلاً: "ولا شبهة في أن عدهم (أى الرافضة)" من المجددين خطأ فاحش، وغلط بيِّن، لأن علماء الشيعة وإن وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد، وبلغوا أقصى المراتب من أنواع العلوم، واشتهروا غاية الاشتهار ولكنهم لا يستأهلون المجددية، كيف وهم يخربون الدين فكيف يجددونه، ويميتون السنن فكيف يحيونها؟ ويروجون البدع فكيف يمحونها؟ وليسوا إلا من الضالين

---

(1) مقدمة في أصول التفسير لابن تيميه ص: ٧٦.

(2) بحوث في علوم القرآن، د. فهد الرومي ص: ٧٨.

(3) التجديد في الإسلام، د. البسطامي سعيد ص: ٣٣.

(4) هو الإمام المحدث علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، كنيته أبو الحسن، ولد سنة ٥٥٥هـ له مصنفات في علوم مختلفة أشهرها أسد الغابة في معرفة الصحابة، والكامل في التاريخ، توفى سنة ٦٣٠هـ، انظر: البداية والنهاية ١٣/١٣٩ وتذكرة الحفاظ ١٣٩٩/٤ وشذرات الذهب ١٣٧/٥.

(5) انظر ٣٢٤/١١.

المبطلين الجاهلين، وجل صناعتهم التحريق والانتحال، والتأويل لا تجديد الدين ولا إحياء ما اندرس من العمل والكتاب والسنة"[1].

غير أن ما ينبغي لفت الأنظار إليه هو أن كون المفسر المجدد من أهل السنة والجماعة يعتقد معتقدهم، ويسلك منهجهم، ويقتفي أثرهم، فإن ذلك لا يعني أن ينحصر هذا المجدد في مدرسة دعوية تسمت باسم معين "كالسلفية" أو "أهل الحديث"، لأنه يلزم عن ذلك خلع رداء الاتباع والسلفية عن سائر المفسرين المجددين الذين لم ينضموا تحت لواء هذه التجمعات الدعوية، أو ينتسبوا إلى فكرها، وهذا خلاف المنقول بالتواتر عن أهل العلم، فإن كل من قال بالكتاب والسنة والإجماع فهو من أهل السنة والجماعة، وأهل السنة هم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم من أمة محمد ﷺ وليسوا فقط المستغلين بعلوم الحديث أو المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته[2].

يقول ابن تيميه ".. ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها من أهل السنة والجماعة وهم الجمهور، والسواد الأعظم. وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء .. وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة"[3]. ويقول النووي في حديثه عن الطائفة المنصورة: "وأما هذه الطائفة فقال البخاري: هم أهل العلم"، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل

---

[1] عون المعبود ٤/١٨٠.

[2] مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، د. صلاح الصاوي ١٥٩.

[3] منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ص: ٢٨١.

الحديث فلا أدرى من هم؟ قال القاضى عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة[1]، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، بل قد يكونون متفرقين فى أقطار الأرض[2].

***الضابط الثانى*: الإحاطة بقواعد التفسير وأصوله**

لا يخفى أن التجديد التفسيرى يعد من اكثر المجالات صعوبة ذلك أن المفسر المعاصر يترجم عن الله بقدر اجتهاده، ويتعامل مع كتاب الله المقدس فالأمر ليس سهلاً بسيطاً كما أنه يعد فى حد ذاته شكلاً من أشكال الاجتهاد، واستفراغاً للجهد البشرى فى محاولة لتفسير القرآن، والتعامل معه فى ظل معطيات العصر، وواقع الأمة، من خلال إبراز جوانب الهداية والإصلاح، وهذه المحاولة الاجتهادية تحتاج إلى علماء قد توفرت لديهم شرائط وأدوات النظر والتأمل، وأحاطوا بأصوله وأسسه، وقضاياه ومسائله، وليس إلى أشباه مثقفين يجترئون على القرآن فيقولون فيه بغير علم، ويتحدثون بما لا يعرفون، دون أن يلموا بالحد الأدنى من قواعد التفسير وأصوله، فكتاب الله ليس مشاعاً يتحدث فيه كل من جرى على عقله خاطر أو لاح فى نفسه معنى.

ومن ثم اشترط علماء التفسير فى المفسر أن يكون "ملماً بجملة من العلوم التى يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيراً مقبولاً، وتكون هذه

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى ٤/٩٥.

[2] شرح صحيح مسلم للنووى ٧/١٨.

الأدوات بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع فى الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم"[1].

وقد ذكر هذه العلوم السيوطى وهى تشتمل على "علم اللغة، لأنه لا يمكن أن يبين المفسر مفردات الألفاظ ومدلولاتها وهو يجهل اللغة العربية".

قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب وعلم النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، وعلم الصرف وبواسطته تعرف الأبنية والصيغ والاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما وعلوم البلاغة والمعانى والبيان والبديع وعلم القراءات وأصول الدين وأصول الفقه وعلم أسباب النزول، وعلم القصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم[2].

ومن العلماء من دمج بعض هذه العلوم مع بعضها البعض فصارت أقل عدداً[3]، وليس هذا العدد الذى ذكره السيوطى حاصراً لجميع هذه العلوم التى يجب على المفسر الإحاطة بها، وإنما ذكرت هذه العلوم لأنها رأس العلوم الشرعية وأشهرها[4].

---

[1] التفسير والمفسرون للذهبى ١/٢٦٥-٢٦٦.

[2] الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/١٨/٠-١٨٢ باختصار.

[3] انظر: مناهل العرفان للزرقانى ٢/٥١.

[4] مباحث فى علوم القرآن، مناع القطان ٢١٨.

أن يكون المجدد ربانياً:

والمقصود بكون المفسر ربانياً، أن يتحلى بكمالات اليقين، ونوافل الطاعات، والترقي في مدارج السالكين، والابتعاد عن الشبهات والشهوات، والزهد في الدنيا والرغبة إلى الآخرة، وهو لاشك قصور يعاني منه كثير ممن يتصدى للدراسات الإصلاحية والاجتماعية، حيث يظن البعض أن أمر الإصلاح والإرشاد متوقف على التحقيق العلمي والدراسات الأصولية، والتعمق في المباحث التفسيرية والعناية بالأحداث والمجريات. وهذا خطأ كبير، فإن الاقتصار على هذه المحاور العلمية لا يورث رقة في القلب، ولا حرارة في الإيمان ولا ليناً في الطباع.

وبطبيعة الحال فإنه لا يقصد بالربانية الحد الأدنى الذي يثبت به عقد الإسلام أو القدر اللازم لتحقيق الإيمان الواجب من فعل الواجبات واجتناب المحرمات، فإن هذا القدر لا نظن بأحد تعمد مخالفته أو نقضه، وإنما نقصد بها الكمالات الإيمانية التي يفتح الله بها على قلوب أصحابها — كالملازمة لخشيته تعالى ودوام مراقبته، ونبذ الخيلاء، والتحلي بالزهد والقناعة، والاشتغال بعمارة الظاهر والباطن — ما لم يفتحه على غيرهم.

قال الزركشي: "وأنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقولة، وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض[1].

---

[1] انظر: البرهان للزركشي ٥٣/٢.

وقد جعل السيوطى التحلى بالربانية من أهم الأسباب التى يفتح الله بها على عباده من المشتغلين بالتفسير ما لم يفتحه لغيرهم ممن أهمل هذا الجانب.

يقول رحمه الله: "علم الوهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم"[1]. وقال: ".. لعلك تستشكل علم الموهبة. ونقول هذا شئ ليس فى قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق إلى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد"[2].

ويتحدث سيد قطب عن أثر هذه الربانية للمفسر فيقول: "وهذه الربانية بمثابة السلاح للمفسر الذى يتحتم عليه ألا يستغنى عنه، ولا يفرط فيه، وأن يستمسك به للحصول على هدى القرآن بكل ما تعنيه هذه الكلمة من حساسية فى الضمير وشفافية فى الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوقٍ لأشواك الطريق، وطريق الحياة الذى تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع، وأشواك المخاوف والهواجس وأشواك الرجاء الكاذب ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً وعشرات غيرها من الأشواك"[3].

وقسم ابن القيم الناس من حيث القوتان العملية والعلمية إلى أربعة أقسام:

- ❖ قسم من وصف بإدراك الحق وتمييزه.
- ❖ وقسم لا بصيرة له ولا قوة على تنفيذ الحق وهم أكثر الخلق.
- ❖ وقسم من له بصيرة فى الهدى ولكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه.
- ❖ وقسم له قوة وهمة ولكنه ضعيف البصيرة.

---

(1) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٨٠/٢.

(2) المرجع السابق ١٨١/٢.

(3) فى ظلال القرآن، سيد قطب ٣٩/١.

وقال[1]: "... وليس من هؤلاء من يصلح للإمامة فى الدين ولا هو موضع لها سوى القسم الأول. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، فأخبر سبحانه أنهم بالصبر واليقين بآيات الله نالوا الإمامة فى الدين"[3]، إلى أن قال: "... فمن الناس من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاشرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه ويكون ضعيفاً فى القوة العملية يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب لا يتوقاها، فهو فقيه عالم ما لم يحضر العمل .. وهذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتعلة بالعلم ... ومن كانت له هاتان القوتان استقام له سره إلى الله، ورُجى له النفوذ وقوى على رد القواطع والموانع بحول الله وقوته .."[4].

ويقص علينا الشيخ أبو الحسن الندوى[5]، ما رآه فى تنقلاته بالهند بين أحزاب دينية مختلفة، وكيف أنه عاد بانطباع واحد هو "أن أغلب الخطباء

---

[1] الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن قيم الجوزية ص: ١٣٨.

[2] سورة السجدة الآية: ٢٤.

[3] الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن قيم الجوزية ص: ١٣٩.

[4] المرجع السابق ١٤٠.

[5] ولد أبو الحسن الندوى بالهند عام ١٣٣٢هـ، من أصل عربى، سافر إلى لاهور ثم إلى دلهى ثم إلى الحجاز ثم إلى مصر، اختير عضواً مراسلاً فى المجمع العلمى العربى بدمشق، من أعلام الصحوة الإسلامية المعاصرة، توفى سنة ١٣٤١هـ " من تقديم أحمد الشرباصى وتعريفه بأبى الحسن الندوى فى مقدمة كتابه المشهور (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)؟ ص: ١٧.

المفوهين البارعين يفتقدون إلى الربانية، الأمر الذى كان سبباً فى عدم إيقاظ ركب السكران من غفوته أو إعادته إلى سواء السبيل"[1].

وكان من جملة ما قال الندوى: "إن الربانية تحيى موات الأعمال، وتنفخ الروح فى الجهود الإصلاحية والكفاح الإسلامى، وتملؤه قوة وأملاً ونشاطاً وعزاً، فترجع الروحانية إلى العبادات ويرجع النور إلى العلم، وترجع القوة والبركة إلى التعليم والتدريس، ويرجع التأثير إلى الخطابة والوعظ ويرجع للقبول والقوة إلى الدعوة والإصلاح، ويعود التوفيق والنجاح وحسن العافية إلى الجهود السياسية"[2].

وفى واقعنا المعاصر أدرك الناس أثر الربانية فى دعاة الإصلاح والتجديد فى زماننا، وقد ظهر أثرها، وآتت أكلها، وبان فضلها فى مشروعهم الإصلاحى لأمتهم الإسلامية.

يقول الشيخ محمد عبده[3] شيخ المجددين فى العصر الحديث: "إنما يفهم القرآن، ويتفقه فيه من كان نصب عينه، ووجهة قلبه فى تلاوته فى الصلاة، وفى غير الصلاة ما بينه الله تعالى فيه من موضوع تنزيله، وفائدة ترتيله، وحكمة تدبره من علم ونور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن فى العالم مطردة، فتلك غاية إنذاره وتفسيره، ويلزمها — عقلاً

---

[1] انظر: ربانية لا رهبانية لأبى الحسن الندوى ٣٨.

[2] المرجع السابق ٤١-٤٢ باختصار يسير.

[3] هو الشيخ محمد عبده، بن حسن خير الله ولد سنة ١٨٤٩م، مفتى الديار المصرية، من كبار رجال الإصلاح والتجديد فى العصر الحديث، تصوف وتفلسف، كتب فى الصحف، أجاد الفرنسية أصدر مع جمال الدين الأفغانى "العروة الوثقى" له تفسير "المنار" لم يتمه توفى سنة ١٩٠٥م انظر الإعلام ١١٢/٣.

وفطرة — تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة"[1].

ويقول سيد قطب: ".. فلابد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجئ إليه بقلب سليم خالص، ثم أن يجئ إليه بقلب يخشى ويتوقى ويحذر أن يكون على ضلالة أو تستهويه ضلالة، وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره ويسكبها في هذا القلب الذى جاء إليه متقياً خائفاً حساساً مهيأً للتلقى.."[2].

ولقد أصبح الدعاة يتمثلون "في ظلال القرآن" في واقعهم وحياتهم وجهادهم حتى صار الظلال من أشهر روافد الصحوة الإسلامية في الواقع المعاصر، كما أصبح هذا التفسير من أكثر الكتب الإسلامية المعاصرة انتشاراً في هذا القرن[3]، كما أنه تُرجم إلى العديد من اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسة والتركية والأردية والإندونيسية وغيرها[4].

ويعود ذلك إلى أن صاحب الظلال عاش القرآن بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله، عاشه لحظة لحظة، وفكرة فكرة، ولفظة لفظة، وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان وكتبه بنفس ربانية، وروح إيمانية انعكست على الظلال وتأثيره في العالم الإسلامي بأسره على المستوى الفكرى والحركى والأدبى، وذلك أنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها .. إنها الكلمات التى تقطر دماء، لأنها تقتات قلب إنسان حى ... كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان ... إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً، ولكن بشرط واحد ... أن يموتوا لتعيش أفكارهم "أن

---

[1] مجلة المنار، العدد ٢٨/٦٥٠.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب ١/٣٩.

[3] مدخل إلى ظلال القرآن، د. صلاح الخالدى ص: ٥٥.

[4] سيد قطب الشهيد الحى، د. صلاح الخالدى ص: ٦٠.

يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم .. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق. إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة حتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء.

أن يكون متسلحاً بالثقافة الإسلامية الأصيل[1]:

---

[1] الثقافة: كلمة ليست من الألفاظ القديمة الدائرة في كتب التراث، إذ لم نجد من علماء الإسلام الأوائل – على اختلاف تخصصاتهم – من ضبط تعريفاً حدياً مميزاً بالمعنى الاصطلاحي لكلمة "الثقافة" بل لا نكاد نجد للإصلاح شيوعاً أو استعمالاً في كتب التراث الإسلامي، ولا ندري متى وكيف شاع هذا التعبير واطرد في الأوساط الإسلامية المعاصرة، وهل هو إطلاق غربي وفد مع عملية الاستيراد الفكري غير المنظم، كما أننا لا ندري هل هو إطلاق غربي صرف صنعته تصورات المفكريين الغربيين فأطلقوا تسميته على أقسام الدراسات الإسلامية من دين، ولغة، وحضارة، أم هو إطلاق إسلامي مهجن صنعته تصورات المسلمين المتنورين الذين تأثروا بالدراسات الغربية وثقافتها ليميزوا العلوم الإسلامية من غيرها. على كل فإنه ليس أمامنا إلا أن نقبل هذا المصطلح لأنه لا مشاحة في الإصطلاح، ولأن كلمة "الثقافة" لها أصل في لغتنا العربية، فالثقافة يدور معناها في المعاجم اللغوية على الحذق، والفطنة والذكاء وسرعة التعلم وتقويم المعوج وتسويته، فيقال ثقف الصبي أدبه وعلمه، وثقف الشئ قوّم أعوجاجه، أما في الاصطلاح فقد اختلف تعريفات الثقافة، نظراً للأساس الذي تُفسرّ عليه فلقد عرفها البعض بأنها "العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها"، انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، د. عمر الخطيب ٢٨-٣٢. أما من جعل العلوم الإسلامية أساساً يدور عليه التعريف فإن الثقافة عنده مرادفة للدراسات الإسلامية، ومن جعل الثقافة علماً جديداً له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره كالحديث والتفسير، فإن الثقافة عنده ستكون أعم من الإسلام، كما قيل في تعريف الثقافة أنها "علم يبحث مقومات الحياة الإسلامية العامة المتعلقة بماضيها وحاضرها، والتي تتكون من الدين الإسلامي، واللغة والتاريخ والتراث والأرض والحكم والحضارة وأنماط السلوك وأساليب الحياة المشتركة والمتنوعة ويعد هذا التعريف من أكثر التعريفات شيوعاً عند الباحثين الإسلاميين، انظر: مبادئ الثقافة الإسلامية، د. النبهان ١٣، وثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، د. عبد الحليم عويس، ص١٦، ولمحات في الثقافة د. عمر الخطيب ١٣.

إحاطة المفسر المجدد، وإلمامه بالثقافة الإسلامية يجعله محيطاً بحجم التحديات المعاصرة — وأنواعها — التى تحاول أن تعرقل مسيرة الدين وأن تحد من انتشاره، وذلك من خلال دراسة المفسر للعلوم العصرية الجديدة التى أخذت تتطلب من المسلمين استخلاص الكائنات الفكرية من شتات التراث الإسلامى وتقديمها فى بحوث مستقلة متكاملة ومقارنة لمواجهة التحديات العلمية الغربية كأصول التربية فى القرآن ومبادئ الصحة فى القرآن، والمجتمع فى القرآن والسياسة والاقتصاد فى الفكر الإسلامى ونحوها من الموضوعات والعلوم.

كما يجب أن تشمل ثقافة المفسر على دراسة الشبهات التى أثارتها أقلام أرباب الغزو الثقافى الغربى وسدنتهم من زنادقة ومأجورين، فيما يتعلق بالمرأة وعملها، والرق، والوحى، والنبوة، والزواج، كما يتوجب على المفسر المجدد أن يقوم بدراسة التيارات الفكرية المنحرفة المعاصرة كالعلمانية والماسونية والشيوعية والرأسمالية والديمقراطية والصهيونية والصليبية والبهائية وغيها من الدعوات المنحرفة، وبيان أخطارها والرد على شبهاتها والتحذير من انتشارها.

ويدخل فى ثقافة المفسر إلمامه بالحركة التاريخية قبل الإسلام وبعده، وذلك أن "من نشأ فى الإسلام ولم يعرف حال الناس قبله، ويجهل تأثيره هدايته التى غيرت أحوال البشر، وكيف أنها كانت مخرجاً من الظلمات إلى النور، فقد يظن أن الإسلام أمر عادى لا جديد فيه، كما ترى بعض الذين يتربون فى النظافة والنعيم يعدون التشديد فى الأمر بالنظافة والسواك من قبيل

اللغو لأنه من ضروريات الحياة عندهم، ولو اختبروا غيرهم من طبقات الناس لعرفوا الحكمة في تلك الأوامر، وتأثير تلك الآداب من أين جاء ... "[1].

ومن ثم يتعجب الشيخ محمد عبده ممن يجهل هذه الحركة التاريخية، وكيف تأثرت بالإسلام، ثم يريد أن يتصدى للقرآن مجدداً في تفسيره فيقول "أنا لا أعقل كيف يمكن لأحد أن يفسر قوله تعالى "كان الناس أمة واحدة"[2]، وهو لا يعرف أحوال البشر، وكيف انحدروا وكيف تفرقوا، وما معنى تلك الوحدة التي كانوا عليها، وهل كانت نافعة أو ضارة، وماذا كان من آثار بعثة النبيين؟[3].

إن الثقافة والإحاطة بجوانبها تبلغ من الأهمية والخطورة بالنسبة إلى المفسر المجدد مبلغاً كبيراً، فبدونها يكون المجدد منغلقاً على نفسه، لا يعرف واقع أمته ولا ما يعتورها من أمراض وما يحيط بها من خطوب وما يكتنفها من أخطار، لذلك كانت الثقافة الإسلامية علماً مستقلاً مميزاً عن غيره من العلوم الإسلامية الأخرى، وهو علم جديد له موضوعاته الخاصة، وأسلوبه المتميز، وكتابة المتخصصون، جاء ميلاده وظهوره على أثر التحديات المعاصرة للإسلام والمسلمين[4].

---

(1) تفسير المنار رشيد رضا ١/٢١.

(2) سورة آل عمران الآية: ٢١٢.

(3) تفسير المنار رشيد رضا ١/٢٣.

(4) دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة أبحاث-جامعة الكويت ص: ١٣.

ضوابط في عملية التجديد التفسيري ذاتها

إن مسألة وضع ضوابط للتجديد التفسيري لا تقتصر على المفسر فحسب، بل يجب أن يوجد إطار عام لممارسة التجديد التفسيري ذاته، وذلك لأن الاقتصار على الاهتمام بالمفسر ووضع ضوابط له لا يضمن بالضرورة انضباط التجديد إذا لم يلتزم المفسر نفسه بمنهجية أصيلة تقوم على أصول راسخة، وقواعد ثابتة ينضبط بها التفسير المعاصر ويستقيم بها مبدأ التجديد، دون بروز نتواءات منهجية ووقوع أخطاء تفسيرية، فكم مر على مسيرة التفسير من علماء أجلاء توافرت فيهم شرائط المفسر، ولكن — نظراً لافتقادهم المنهجية الأصلية لمبادئ التجديد فى التفسير — جانبهم الصواب وكانت لهم بعض السقطات والهفوات، الأمر الذى شوش كثيراً على جهدهم الكبير ومحاولتهم الجادة فى الارتقاء بمنهجية التفسير، وجعلها مسايرة لمستجدات الواقع، ومستحدثات العصر.

فلا يستطيع أحد إنكار إمامة الشيخ محمد عبده فى التفسير، ولا المنازعة فى علم الشيخ رشيد رضا وفقه الشيخ مصطفى المراغى وغيرهم ممن انتسب لمدرسة المنار، ولا أن ينكر صحة اعتقادهم — فى الجملة — وشدة حرصهم على الدين، وتقطعهم حسرات على حال أمتهم، وعلو كعبهم، فى الثقافة الإسلامية المعاصرة على من سواهم من علماء عصرهم، إلا أن افتقادهم لبعض الضوابط العامة فى التعامل مع النص القرآنى وفى ضوء معطيات الواقع المعاصر أوقعهم ذلك فى بعض ما أخذ عليهم كإعطاء العقل الحرية الواسعة لتأويل بعض الحقائق الشرعية التى جاء بها القرآن، والعدول بها عن الحقيقة إلى المجاز، والطعن فى بعض الأحاديث مع ورودها فى

أصح كتابين بعد القرآن هما البخارى ومسلم، وعدم الأخذ بأحـــاديث الآحـــاد الصحيحة الثابتة فى كل ما هو من قبيل العقائد إلى غير ذلك مما وقعوا فيه[1].

ومن هنا تأتى أهمية وضع ضوابط عامة للتجديد التفسيرى:

الأول: ضرورة الجمع بين الرواية والدراية:

لقد شهدت ساحة التفسير — منذ زمن مبكر — تجاذباً بيـــن اتجـــاهين أصليين فى التفسير، هما تفسير الرواية "المأثور الصحيح" و "تفسير الدرايـــة" الرأى المحمود"، ومعلوم أن تصادم الصحيح المنقول مع الصريح المعقول أمر محال فى شريعتنا، وأن المسألة لا تعدو فى نهاية الأمر أن تكون تغليباً لاتجاه على آخر، ولا تعنى إقضاء أو رفضاً للاتجاه الآخر.

ولا شك أن أقوم مناهج التفسير هو ما مزج بين الاثنين وجمـــع بيـــن صحيح المنقول، وصريح المعقول، وألف بين تراث السلف، ومعارف الخلف. ذلك أنه لا يمكن بحال أن يستغنى اتجاه عن الآخر، فلا يتأتى أبداً الاســـتغناء بالمنقول عن التفسير بالرأى، لأنه — كما يقول الشوكانى فى مقدمة تفسيره — "لا يتيسر فى كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف، بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن هذا. بالإضافة إلى أن الذى صح عن النبـــى ﷺ فى تفسيره للقرآن آيات قليلة، ولا يختلف على ذلك اثنان، كما لا يمكـــن إهمال سائر المعانى التى تفيدها اللغة ولا إهمال ما يستفاد من العلـــوم التـــى تأتى بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعانى، والبيان والتفسير بذلك تفســير

---

[1] انظر: منهج المدرسة العقلية فى التفسير، د. فهد الرومى ص( )، والتفسير والمفســـرون للذهبى ٥٤٩/٢ وما بعدها، ومباحث فى علوم القرآن، د. فهد الرومى ص: ٦٧.

باللغة ليس بمحض الرأى المنهى عنه .. وبهذا نعرف أنه لابد من الجمع بين الأمرين وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين[١].

ولقد سار على هذا المنهج أغلب الأئمة والمفسرين حتى أولئك الذين عرفوا بأنهم من أئمة التفسير بالمأثور كالطبرى الذى جمع بين الاتجاهين من خلال سرده للروايات والأقوال، ثم مناقشتها والموازنة بينها، ثم يضعف أو يصحح ما بدا له أو يضيف فهماً جديداً للآية. كذلك كان منهج الحافظ بن كثير والقرطبى، ومن المتأخرين الشوكانى، مع وجود فروقات طفيفة بينهم[٢].

غير أنه يشترط فى جانب التفسير بالرأى أن يجرى على القواعد العلمية الموضوعية له، وهى الأخذ بمطلق اللغة العربية، مع مراعاة السياق الذى وردت فيه اللفظة أو الجملة القرآنية، وملاحظة أسباب النزول، واعتبار القرآن أصلاً يرجع إليه[٣]، وتقديم المعنى الشرعى على اللغوى عند النزاع[٤]،

---

[١] انظر فتح القدير للشوكانى ١٢/١ وما بعدها باختصار.

[٢] الحافظ ابن كثير يقارب منهجه منهج الطبرى وإن لم يبلغه فى استيعاب الأقوال، وإن كان لابن كثير مزية انضباط منهجه فى التفسير بما قرره شيخه ابن تيميه بأن أفضل طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بالتابعين، والقرطبى يجمع بين الطريقتين وإن كان أقرب إلى الرأى، والشوكانى جمع بين الطريقتين وقال فى مقدمة تفسيره" .. وبهذا تعرف أنه لابد من الجمع بين الأمرين وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين "انظر فتح القدير ١٣/١.

[٣] انظر: مباحث فى علوم القرآن، د. صبحى الصالح، مدخل إلى تفسير القرآن، عدنان زرزور ص: ١٣٠ وعلوم القرآن الكريم، نور الدين عز ص: ١٨٠، والتفسير والمفسرون ٨٥/١ ومناهل العرفان للزرقانى ٨٥/٢.

[٤] بحوث فى أصول التفسير، د. فهد الرومى ص: ١٤٥.

كما يشترط في الخواطر والاجتهادات التفسيرية أن تجرى على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، وأن يكون له شاهد نصاً[1]، وألا يكون الاجتهاد بعيداً سخيفاً[2].

الثاني: الموازنة في الاعتماد على النقل والعقل

ويكون ذلك من خلال إعطاء العقل دوره الذي كرمه به الشرع وعدم إعطائه الحرية الكاملة ليتعاطى مع النصوص قبولاً ورفضاً، اعتماداً على قياساته ومنطقه، فإن العقول تتفاوت، وما يقبله هذا العقل ويقر به يرفضه آخر، وينكره، فلقد خلق الله العقل ووهبه قدرة على التفكير والتمييز، ولكن هذه القدرة كشأن قدرة أية قدرة عند الإنسان محدودة ومقيدة.

ومن ثم فلا يجوز لإنسان أن يحكّم عقله أو يعطيه الصلاحية المطلقة للحكم على النصوص قبولاً أو رفضاً لمجرد عدم قناعته، فإنه لا ينكر أن العقل مناط التكليف، وأنه شرط في معرفة العلوم وصلاح الأعمال، ولكنه لا يستقل بذلك، بل لابد له من نور من الوحي لأنه غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر من العين، كما أن المسلم يعتقد دوماً أنه لا يمكن لصحيح المنقول أن يتعارض مع صريح المعقول بوجه من الوجوه، فإن حدث ما يوهم ذلك كان لظنيه أحد الأمرين ثبوتاً أو دلالة، فإما أن يكون النص ظنياً في ثبوته أو دلالته، وإما أن يكون العقل موهوماً أو لم يبلغ بعد درجة اليقين. والحقيقة العلمية والشريعة لا تأتي بما يُعلم بالعقل امتناعه ولكن قد تأتي بما

---

[1] مناهل العرفان للزرقاني ٢/٨٣.

[2] مناهل العرفان للزرقاني ٣/٢٩٥.

يعجز العقل عن إدراكه[1]، أما إذا كان الدليل النقلي قطعياً في ثبوته ودلالته فإنه لا يجوز تأويله وصرفه عن ظاهره إلى المجاز أو التمثيل، خوفاً من مجرد الاستغراب أو التكذيب أو قياساً على قدرة البشر، حتى وصل الأمر إلى رد بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في الصحيحين كما حدث عند المعتزلة وتأثرت بذلك مدرسة المنار إلى حد بعيد[2].

ولأن أشد ما تتعرض له النصوص خطراً سوء التأويل، فإنه يجب على المفسر المجدد أن ينضبط بقواعد وأصول التأويل عند أهل السنة، ومنها أن الأصل في الكلام أن يُحَمل على ظاهره، إلا إذا جاءت قرينة توجب صرفه عن المعنى الأصلي، وأن هذا الصرف لابد أن يحتمله اللفظ،ولو كان احتمالاً مرجوحاً، كما أنه لابد أن يقوم دليل على صرف الكلام الراجح إلى المرجوح، لأن ترك الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لا يجوز إلا بدليل[3] ... إلى غير ذلك من القواعد التي صنفها وتحدث فيها الأصوليون قديماً وحديثاً[4].

---

(1) انظر درء تعارض صحيح المنقول مع صريح المعقول لابن تيميه ٨٠، والموافقات للشاطبي ٣٠/٢.

(2) بحوث في أصول التفسير، د. فهد الرومي ص: ١٧٥.

(3) كيف نتعامل مع القرآن، د. يوسف القرضاوي ص: ٢٨٥.

(4) المقام لا يتسع للحديث عن التأويل، فهو باب كبير ومتشعب، ويمكن الرجوع إلى مجموع الفتاوى ٢٨٥/٨ وما بعدها، والمحصول للرازي، وارشاد الفحول، وسلم الثبوت مع شرحه فواتح الرحموت المطبوع مع المستصفى ٢٢/٢ وما بعدها، وأصول الفقه محمد أبو زهره، والبرهان في أصول الفقه ابن الجوزي ٨٠، درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه.

الثالث: عدم الشرود عن إجماع الأمة

ويقصد بذلك عدم شرود المفسر ومجافاته لما انعقد عليه إجماع الأمة من قطعيات وثوابت. والقطعيات ومواضع الإجماع: هى التى أقام الله بها الحجة البينة فى كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ، ولا مجال فيها لتطوير أو اجتهاد، ولا يحل الخلاف فيها لمن علمها[1]، ومجال هذه الثوابت أو مواطن الإجماع تكون فى أغلب مسائل الاعتقاد[2]، وأصول الفرائض، وأصول الأخلاق، وأصول المحرمات[3]، فهذه الأمور لا يحتاج الناس إلى تغيرها بل يحتاجون إلى ثباتها واستقرارها، لتستقر معها الحياة، وتطمئن العقول والقلوب[4].

فيجب على المفسر المجدد أن يحافظ على هذه الثوابت والقطعيات، لا أن ينتقدها وينكرها ثم يخرج علينا بمنهج يشذ به عن منهج الأمة كلها، ويخطئها فيما أجمعت عليه خلال أربعة عشر قرناً، ويحكم بالضلال على

---

(1) الثوابت والمتغيرات فى مسيرة العمل الإسلامى، د. صلاح الصاوى ص: ٣٣.

(2) قلت أغلب، لأن المتتبع للمسائل الخلافية عن السلف -رحمهم الله تعالى- يجد فيها بعض المسائل العقدية وإن كان ذلك قليلاً كالخلاف حول صفة الكرسى، وأيهما أسبق الميزان أو الحوض، ومسألة رؤية رسول الله ﷺ ربه ليلة المعراج، وتعذيب الميت ببكاء أهله عليه والتوسل بالأنبياء والصالحين، انظر: الاختلافات العلمية، د. أبو الفتح البيانونى ٣٣، وقال ابن حزم: "وأكثر افتراق أهل السنة فى الفتيا، ونُبذ يسيره من الاعتقادات "انظر: الفصل فى الملل والنحل ١١١/٢، ومجموع الفتاوى لابن تيميه ١٢٢/١٩-١٢٣، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ٢٥٠،٢٠٩،١٩٣،١٨٦.

(3) انظر: بينات الحل الإسلامى، القرضاوى ص٧٧ والثوابت والمتغيرات، د. صلاح الصاوى ٣٤.

(4) بينات الحل الإسلامى، د. يوسف القرضاوى ص: ٧٨.

الراسخين والربانيين من علمائها، وفقهائها، ابتداء من الصحابة فمن بعدهم، مدعياً أنه أتى بما لم يأت به الأوائل، واكتشف ما غاب عن الخلفاء الراشدين وعن الأئمة المجتهدين، والعباقرة المحققين، وبحور الرواية والدراية وكواكب المعرفة والهداية، وشوامخ النبوغ والأصالة الذين حفل بهم تاريخ هذه الأمة[1].

بقى أن ننتبه إلى أمر تربوى خطير وهو تجنب اتهام علماء الأمة السابقين بالجهل والتخلف، لأنه فى غمار التجديد التفسيرى واكتشاف الجديد والحديث فى مجالات العلوم والفنون مما ينفع الله به على عباده، قد يدفع ذلك بعض المعاصرين إلى الاغترار والامتنان بما جاء على أيديهم من جديد، فيصل الأمر إلى التنقيص والحط من شأن ما سطره علماء التفسير السابقون، ورميهم بالتعاليم فى مجالات لم يحسنوها ومبادئ لم يتقنوا العمل فى مضمارها.

والحق أن التجديد التفسيرى ينبغى أن يجرى فى إطار التقدير والاحترام لجهود السابقين وتفهم ظروفهم وأحوالهم التى كانوا يتعاطون خلالها مع القرآن، وأن وقوع بعض الهفوات من بعض المفسرين فيما يتعلق بقضايا الفلك، والطب والبحار لا يعنى أن نصادر كل تراثهم التفسيرى وأن نلغيه ونرميه بالجهل والتخلف، بل ينبغى أن يُنظَر فيما أتوا به فإن كان متعارضاً مع الجديد، فهذا هو اجتهادهم فى ظل ما توافر ليدهم من مكتشفات وعلوم، ثم يُغمَر هذا الخطأ فى بحر فضلهم وعلمهم، وإن كان ما قالوه لا يصطدم بما اكتُشف وظهر فإنه يُستأنس به ويضاف إلى الجديد، فلقد تقرر فى حس كل مسلم أن القرآن لا تنقضى عجائبه ولا تنفد كنوزه وأسراره، والله تعالى يفتح على عباده فى فهم كتابه ما شاء ولمن شاء.

---

[1] كيف نتعامل مع القرآن، د. يوسف القرضاوى ٣٥٣.

المبحث الرابع

معالم رئيسة للتجديد التفسيري

إبراز الغرض الأساسي من نزول القرآن

لا يخفى أن الغرض الأول والأساسى الذى من أجله أُنزل القرآن هو الهداية والإرشاد وإصلاح البشرية[1]، وتحقيق ما يجلب لها سعادتها ويحقق لها مصلحتها فى العاجل والآجل"[2]، فهداية القرآن أساس دعوته وأصل أصوله، وعنها تفرعت آدابه وشرائعه، وبها قامت أركان علومه ومعارفه، وعلى دعائمها نهضت حكمته وأحكامه، و هى دروس فى التربية للأفراد والجماعات والأمم والشعوب ، لأنها الحق الذى نزل به القرآن وإليه قصد، وأن التنبيه لهداية القرآن العامة فى جميع جوانب الحياة والكشف عنها هما وسيلتان الإصلاح والتجديد فى الأمم[3].

---

(1) يقول الطاهر بن عاشور: "المقصد العام من التشريع ونزول القرآن هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذى يعيش فيه" انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر ابن عاشور ص: ١٤٨، وقال الزرقانى " .. فإنا نقفك على أن الله تعالى فى إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسية الأول أن يكون هداية للثقلين، والإعجاز، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوته" انظر: مناهل العرفان ١٢٣/٢ وما بعدها.

(2) انظر الموافقات للشاطبى ٥٨/١، ومجموع الفتاوى ٧١/٨، ومنهج أهل السنة ٣٠/٢.

(3) اتجاهات التجديد فى مصر فى العصر الحديث د. إبراهيم الشريف ص: ٢٥٠.

والناظر إلى كتاب الله لا يجد جهداً في إدراك هذه الآيات الكثيرة التي تظاهرت على إبراز هذا المعنى وتقريره لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ففي أم الكتاب، وفي صدر المصحف وفي كل الصلوات ليس للعبد إلا دعاء يلح فيه على ربه، ويسأله إياه بعدد تكرار الركعات: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١)، وقوله ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣). فحرى لمن أراد أن يجدد للأمة نظراتها إلى كتاب ربها وهو يرى ما تعانيه أمته، وما وقع لها من مصائب ونكبات لمجافاتها لهدى ربها وسنة نبيه ﷺ، حرى به أن يشتغل في ليله ونهاره بقلمه ولسانه لإبراز جانب الهداية في القرآن ولفت أنظار الناس إليه، وبيان أن الأمة إذا كانت جادة وعازمة على أن تعود لسابق عهدها، فلابد لها أن تعود إلى القرآن وتتلقاه قاصدة هدايته، وطالبة طمأنينته، وراغبة في رشده، على نحو ما تلقاه الصحابة وتابعوهم وتابعو تابعيهم، فلقد تلقها هؤلاء بنفسية الضال

---

(١) سورة الفاتحة الآية: ٦.

(٢) سورة إبراهيم الآية: ١.

(٣) سورة الشورى الآيتان: ٥٢.

الذى يتشوف إلى الهداية، وبعقلية الشقى الذى يسعى إلى السعادة، وبروح باحثةٍ عن الحق منقبة عنه، أخذوا الدين من ينابيعه الصافية قبل أن تعكر نقاءه الشوائب، وتشوه جماله البدع القولية والعملية التى صنعتها الأهواء والجهالات والفلسفات.

ولقد كان هذا المقصد –مقصد الهداية– غير خافٍ على من تناول القرآن فى القرون الماضية من أئمة التفسير، غير أن المحيط الذى كان يحيله المسلمون آنذاك –على تفاوت بين العصور– كان جواً إسلامياً فى الجملة، وصور الفساد أو المخالفات الشرعية قليلة، ولا تخرج عن كونها شطحات وزلات يقع فيها أفراد المجتمع باعتبار بشريتهم، وينظر المجتمع على هذه المخالفات نظرة إنكار واستهجان، وسرعان ما تتلاشى أو تذوب، ولم تكن هذه الانحرافات تشكل ظاهرة تستدعى الوقوف أمامها أو التأمل فيها كثيراً، ومن ثم كان المفسر يلعب دور "المثقف" على حد تعبير د. زرزور[1].

---

[1] انظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د. عدنان زرزور ص: ٢١٨.

أما الآن وفى واقعنا المعاصر فإن الأمر أصبح مختلفاً بعد أن وقع المسلمون تحت سيطرة الاستعمار الفكرى والثقافى والإعلامى ولاسيما بعد مجئ عصر العولمة[1]، إذا الشريعة مغيبة بل ويتهمها أعداء الله بالتخلف والظلامية بعدما استُبدلت بشرائع بشرية، والناس متهالكون متقاتلون على دنياهم، والدين يهاجم تارة من المستشرقين، وتارة من العلمانيين، وثالثة من

---

[1] تعريف العولمة بأنها: "تكثيف العلاقات الاجتماعية عبر العالم حين ترتبط الأحداث المحلية المتباعدة بطريقة تبدو كما لو كانت تتم فى مجتمع واحد" (مجلة المجتمع عدد ١٣٠٧)، وكثير من تعريفات العولمة يدور حول معنى "الظاهرة التى تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية وتحدث فيها تحولات على مختلف الصُعد تؤثر على حياة الإنسان فى كوكب الأرض أينما كان، ودون اعتناء بذكر الحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدود أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية، انظر: تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض، د. أحمد صدقى ٣٣، ولخص الكاتب السيد ياسين مستشار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام "تعريف العولمة ووصفه لها فى ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها الأولى: تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تكون مشاعة لدى الناس، والثانية تتعلق بتذويب الحدود بين الدول، والثالثة: زيادة معدل التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات، انظر: العولمة ظاهرة وتعريف، د. عدنان الكاظمى، مقال بجريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٩٩/٨/٥م، وإذا كان الاختلاف هو السمة السائدة فى تعريف العولمة، فإن الاتفاق فى مفهومها ومدلولها هو الأصل اتفق الجميع على أن العولمة تعنى الثقافة الواحدة والتى لا تعترف بخصوصية اجتماعية أو دينية أو شرعية أو اقتصادية، وإذا كانت السيادة لابد وأن تكون للأقوى فإن القوة والريادة هى سمة الحضارة والثقافة الغربية الأمر، الذى يعنى سيادة ثقافة التغريب والهدم والإمبريالية، فالعولمة مصطلح ظاهرة الرحمة وباطنه فيه الهلاك الشديد، وهى الاسترقاق الكلى العصرى ولكن تحت غطاء شريف وشعار براق مكذوب، انظر: العولمة .. الحقيقة والأبعاد، د. فتحى يكن ص: ٤.

أبناء جلدته، هذا بالإضافة إلى صور الانحراف الفقهى والأخلاقى والاجتماعى والفكرى الناتجة عن الشعور بالهزيمة النفسية.

هذا الحال الذى وصل إليه المسلمون يدعو المجددين من علماء التفسير ويلح عليهم من أجل الاتصال بكتاب الله بأسلوب مختلف عن الطريق التقليدى المعهود فى التفاسير القديمة، من خلال إبراز جوانب الهداية والصلاح والرشد، على نحو ما تناوله الشيخ محمد عبده فى محاولته التجديدية فى تفسيره المنار حين قال فى مقدمته: " .... والأمة فى حاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن، على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه وما أنزله لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح"[1]، إلى أن يقول " ... وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وما زال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وأنه لا يعود إليهم شئ مما فقدوا من العز والسعادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته والاعتصام بحبله .. وبالشكر تدوم النعم، وكفرها مجلبة النقم، ولذلك أرشدنا الله إلى فاتحة كتابه إلى الدعاء بأن يهدينا صراط المنعم عليهم من الشاكرين[2].

ويقول سيد قطب فى مقدمة ظلاله: " ... والرجوع إلى الله –كما يتجلى فى ظلال القرآن– له صورة واحدة، وطريق واحد .. واحد لا سواه .. إنه

---

[1] مجلة المنار ٢٨/٦٥٠ ومقدمة تفسير المنار ١/١٥.

[2] تفسير المنار ١/١٦.

العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذى رسمه للبشرية فى كتابه الكريم .. إنه تحكيم هذا الكتاب وحده فى حياتها والتحاكم إليه وحده فى شؤونها[1].

ومن خلال إبراز المقصد الأول من نزول القرآن والاهتمام بتقريره، وتأكيده فى النفوس تستطيع الأمة أن تنشئ جيلاً قرآنياً راشداً يتربى على نور من الله، بعيداً عن النزاعات الفلسفية، والخلافات المذهبية التى التصقت بفهم القرآن[2].

مقاومة الغزو الفكرى

ينبغى على المفسر المجدد أن يضع نصب عينيه ما يوجه إلى أمته من حملات غزو فكرى يستهدف معتقداتهم وتصوراتهم وأخلاقهم، ويكون كل همه أن يواجه هذه الهجمات الفكرية والعلمية، منطلقاً من القرآن ومتسلحاً بالأدلة العلمية، والحقائق الشرعية ليرد هذا الغزو ويفند شبهاته، ويثبت بطلانها، ويظهر عوارها، وفضح مكرها، ويكشف أهدافها التى تدور حول إبعاد المسلمين عن إسلامهم مصدر عزتهم، وقوتهم وحضارتهم.

---

[1] فى ظلال القرآن، سيد قطب ١/١٥.

[2] مدخل إلى علوم القرآن، د. مصطفى مسلم ص: ١٥٠.

ومقارنة هذا الغزو الفكرى ليست مسألة سهلة، وإنما تحتاج إلى إدراك جيد لهذه التحديات التى يواجهها الفكر التفسيرى خلال حركته الإصلاحية كالتحديات العقدية[1]، والاجتماعية[2]، والإعلامية[3].

---

[1] التحديات العقدية تشمل: حملات تشويه القرآن والتشكيك فيه، فلقد واجه القرآن ومنذ نزوله وإلى يومنا هذا ما لا يحصى ولا يعد من هجمات الطعن فيه، الأمر الذى يكشف مدى اهتمام أعداء الإسلام بالقرآن والحط من شأنه، لأنه هو الذى يحفظ للمسلمين دينهم وشريعتهم، فقد وقف رئيس وزراء إنجلترا فى مجلس العموم البريطانى وهو يحمل المصحف فى يده ويقول "ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض فلن يقر لنا وجود فى الشرق، بل نخشى من خطر على وجودنا فى بلادنا، لذلك لا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به"، انظر: دمروا الإسلام .. أبيدوا أهله ص: ١٨٠.

[2] التحديات الاجتماعية تشمل:

١- حالة الهزيمة النفسية التى يحياها المسلمون، وذلك بعد أن نجح دعاه التغريب فى إقناع الكثيرين بأن الغرب سلك طريق التقدم والحضارة حينما انفصل عن الدين وعاش حراً بلا رقيب ولا شهيد، الأمر الذى ولّد إحساساً بالصُغار لدى كثير من المسلمين

٢- إخراج المرأة المسلمة من العمل فى إطار رسالتها الأصلية وعولمة جسدها وذلك عن طريق ما أطلق عليه "تحرير المرأة" من خلال الدعوة إلى القضاء على الحجاب والمناداة بحقوقها بالسياسة، ومنع الزواج بأكثر من واحدة وتمييع الثوابت الأخلاقية والقيمية، انظر: أصالة الفكر الإسلامى، أنور الجندى ص: ٢١٥.

[3] زاد حجم التحديات الإعلامية بعد انتشار الفضائيات وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والدور الذى أنيط بهذه الشبكة فى تسويق العولمة، وإزالة الحواجز الدينية، والاجتماعية والأخلاقية بين الشعوب، هذا بالإضافة إلى الأنماط السلوكية الغربية كالإباحية وثقافة الجنس ومواقع التبشير والطعن فى الدين، انظر: الإنترنت والإسلام، أحمد طعيمة ص: ١٥، والثقافة الإسلامية وتحديات العولمة للباحث ص: ١٩.

إبراز جوانب الإعجاز العلمي:

لقد تقرر في عقيدة كل مسلم أن كتاب الله باق وصالح لكل زمان ومكان، وأن ما فيه من هدى للناس إنما يقوم على العقل والعلم ينفع الناس، وأنه كلما انتشر العلم بين النابغين انتشرت دعوة القرآن، لأنه سيدرك حينئذ أن خالق هذا الكون هو منزل هذا القرآن، فكلما ازداد العالم معرفة بما في الوجود من أسرار وقوانين وحقائق، ازداد معرفة بالله، ويقيناً بكتابه.

يقول الشيخ محمد عبده: "فإن الكون المنظور أعظم تفسير للكون المقروء"[1].

ومن ثم كان على المفسر المجدد أن يبرز هذا التلازم والاقتضاء، ولا يتم ذلك إلا من خلال الاعتناء بالمعطيات العلمية وربطها بالقرآن، وذلك في ضوء الضوابط العلمية للتفسير العلمي.

يضاف إلى ذلك أن إظهار جوانب الإعجاز العلمي تقمع مزاعم القائلين بوجود عداوة بين الدين والعلم، فالقرآن يشتمل على كثير من أمور العالم الكونية والاجتماعية، وكثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة وقت نزوله، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق، دون أن يحدث تصادم بين آيات الله وما تحقق كشفه من حقائق علمية أو فلكية[2].

---

[1] تفسير المنار ٢/٢١٥.

[2] الدين والعلم، د. مصطفى الزهراني ٦٧.

وهناك أمر ثالث يوجب على المجدد أن يضع فى اعتباره هذه اللون من التفسير عند الحديث عن الآيات المتعلقة بالكون وأسراره ولطائفه، وهو أن الإنسانية كلها مخاطبة بالقرآن، مطالبة بالتسليم بأنه كلام الله وحجة الله عليها، وموطن الحجة إعجازه، وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله، ولما كانت الإنسانية أعاجمها أكثر من عربيها فلابد أن يكون إعجاز القرآن لكل إنسان — ولو كان أعجمى اللسان- لتلزمه الحجة إن هو أبو الإسلام، والطريق لإلزام عقله وقلبه هو العلم وقانونه، لذا لزم إلزامه بما ألزم به نفسه، كما أعجز القرآن العرب وتحداهم بكل أشكال التحدى بفصاحة القرآن وبلاغته، فكان إثبات الإعجاز من جنس ما يعرفون بل يوقنون به صدق القرآن[1].

ومن ثم يصبح الحديث عن الإعجاز العلمى وإبرازه طريقاً أمثل وسبيلاً عصرياً فى تبليغ دعوة الإسلام وإثبات إعجاز القرآن، وأنه تنزيل حكيم حميد فى عصر لا تكاد تؤمن فيه الشعوب بغير العلم، ولا تقاس فيه الأمم إلا بما أحرز أفرادها من ثقافات، وما جمعوا من معرفة، وهو الوسيلة الوحيدة الكافية لإقناعهم بالقرآن، وأنه لا عداوة بين العلم والدين، ولاسيما أن حديث العلم هو القول الفصل الذى لا يستطيع أى مكابر أن يجادل معه أو يشك[2].

---

[1] اتجاهات التجديد فى مصر فى العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ٦٩٩.

[2] اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى، د. فهد الرومى ٢/٥٤٩.

غير أنه إيماناً بأهمية دور التخصص، وتجنباً لمحاولات فجة لا تلتزم بشروط التفسير العلمي وقواعده المعروفة عند علماء التفسير فإنه ينبغي أن يُقتَرح إطار تتم من خلاله مسألة التعرض لإعجاز القرآن دون إفراط قد يؤدى إلى إحراج النص القرآني، ولا تفريط يخل بمقاصده المرادة في آيات الآفاق والأنفس، والإطار المقترح هو "أن يتعاون في تفسير القرآن العالمون بأسوار التشريع وفقه القرآن الكريم وبلاغته، والعلماء المتخصصون في مختلف العلوم حتى يمكن أن نقول إننا قمنا بما يفرضه علينا القرآن من استخدام العقل والانتفاع بنتائج البحث والنظر في خلق الله العجيب لبناء صرح إيمان قوى ثابت يجمع فيه المؤمن بين التدين والتسليم من جهة، والعلم والمعرفة من جهة أخرى"[1].

[1] اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث د. إبراهيم الشريف ٦٥٧.

المبحث الخامس

اتجاهات التجديد في العصر الحديث

التفسير العلمي:

فرض منهج التفسير العلمي للآيات الكونية نفسه على ساحة التفسير في العصر الحديث، نظراً لما تميز به هذا العصر من كشوف علمية تناولت الطبيعة في مظاهرها وفروعها المتعددة –للنبات والحيوان والفلك والجغرافية– وكذلك الإنسان في مراحل خلقه المختلفة وفي جوانبه المادية والعضوية، فإذا علمنا أن القرآن الكريم أشار إلى بعض هذه الجوانب والمراحل وأشار كذلك إلى الكثير من مظاهر الطبيعة تلك، أدركنا السبب في اتجاه بعض الباحثين والمفسرين نحو هذه الكشوف يستعينون بها في التفسير، أو يحاولون فهم الآيات الكريمة في ضوئها أو انطلاقاتها[1]، وقد شجعهم على ذلك زيادة تلاقي القرآن الكريم مع حقائق العلم المقررة بعد الاكتشافات الحديثة، فلقد ثبت بهذا أن القرآن الكريم قد أشار مجملاً أو مفصلاً في مناسبات مختلفة إلى مجموعة من الحقائق العلمية التي لا تقبل الجدل، والنتيجة الطبيعية لهذا التلاقي هي نمو حركة التفسير العلمي كلما حقق العلم جديداً، فأثبت ما أشار إليه القرآن منذ مئات السنين[2].

كما أن حالة الهزيمة النفسية والفكرية التي يعيشها المسلمون — الناتجة عن الشعور بالتخلف والجهل أمام المد العلمي والثقافة القادم من الغرب–

---

[1] انظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د. زرزور ص: ٢٣٣.

[2] اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ص: ٣٩٠.

جعلت هذا الاتجاه التفسيري يبرز عند بعض المفسرين[1]، كمحاولة لإثبات أن القرآن يدعو إلى العلم وأنه يتضمن بين جوانبه كثيراً من الاكتشافات العلمية التى جاء بها العلم الحديث، محاولين بذلك إعادة التوازن النفسى إلى الشخصية المسلمة المعتزة بدينها[2].

هذا بالإضافة إلى أنه قد وُجد أن هذا اللون من ألوان التفسير، أو فى هذا الوجه من وجوه الإعجاز ميداناً ملائماً للدعوة إلى الإسلام، وإقامة الدليل على أن القرآن وحى يوحى، وأنه تنزيل من حكيم حميد، فى الوقت الذى ضعفت فيه سليقة العرب اللغوية، وأضحوا غير قادرين على تذوق الإعجاز البيانى للقرآن الكريم وفى الوقت الذى عُدَّ فيه هذا الإعجاز قادراً على مخاطبة العرب وغير العرب، كما يقوى على إدراكه المسلمون وغير المسلمين، بل إن غير المسلمين من الأوروبيين المكتشفين للسنن أو أصحاب التقدم العلمى المشار إليه يأتون فى مقدمة من يعقل عن القرآن هذا الإعجاز، أو بعبارة أدق هذا السبق العلمى الباهر الذى جاء به القرآن الكريم قبل مئات السنين[3].

---

[1] والذين تناولوا موضوع التفسير العلمى من هذا المنطق يعتبرون من حركة التجديد فى العصر الحديث وعلى رأس هؤلاء المفسرين محمد عبده والشيخ طنطاوى جوهرى وغيرهما ممن ينتمون إلى مدرسة التجديد التى أخذت تفسر القرآن على طريقة توحى بتجديد مبادئ الإسلام وبط التعاليم الدينية بالحياة المدنية، وإظهار أن الإسلام لا يتعارض أبداً مع الحضارة المدنية والتقدم فى الحياة.

[2] فى ظلال القرآن، سيد قطب ١/١٨٠.

[3] مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د. زرزور ص: ٢٣٤.

كما أن من أسباب رواج التفسير العلمي في العصر الحديث، إحساس المفسر في العصر الحديث بتقدير كبير لنتائج العلم الذي سيطر على كل شئ في حياة الإنسان، مما جعله يصادف إعجاباً بالغاً، لذلك فإننا نغتبط كثيراً حين يحقق العلم توافقاً ما بينه وبين أخلد ما ندين –به أعني القرآن– لأن هذا التوافق يخلص البعض من المفكرين من أزمة الإحساس بالتخلف التي تؤرقه[1].

مفهوم التفسير العلمي[2]:

ذكر العلماء والباحثون عدة تعريفات للتفسير العلمي[3]، ولعل أقرب تعريف للتفسير العلمي تمشياً مع الواقع، مع اشتماله على غايته وأهدافه تفسير

---

(1) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ٣٩٠.

(2) المقصود بالعلوم: العلوم الكونية والمعارف والصنائع وما جد وما يجد في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة والحساب والبيئة والاقتصاد والاجتماع والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وعلم طبقات الأرض، ولا يقصد به العلم الحكماء وهو "صورة الشئ الحاصلة في العقل"، ولا العلم عند المتكلمين وهو "الصفة التي يتجلى بها الأمر لمن قامت به".

(3) عرفة أمين الخولي وتابعه عليه الذهبي بأنه: التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية، انظر: اتجاهات التفسير في القرآن في القرن الرابع عشر ٢/٢٨٧، والتفسير والمفسرون ٢/٢٢٠، وعرفة الدكتور عبد المجيد عبد المحتسب بأنه "التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل القلق والآراء الفلسفية منها" انظر: اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ٢٤٧، غير أنه يلاحظ في التعريفين عبارات وإلماحات يفهم منها التحامل على هذا اللون من التفسير مثل "يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن "ومثل إخضاع عبارات القرآن للنظريات .."، وعلى ذلك فكل من يقرأ هذين التعريفين– وليس له إلمام بهذا الاتجاه في التفسير– يحكم عليه بأنه غير جائز لأنه يخضع عبارات القرآن للنظريات العلمية المتغيرة، انظر: التفسير العلمي في القرآن في الميزان، د. أحمد أبو حجر ٦٦.

د. فهمي الرومي بأنه: "اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز القرآن ويدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان[1]، وقريب منه تعريف د. أحمد عمر أبو حجر[2].

وقد انقسم العلماء إلى فريق مؤيد[3]، للتفسير العلمي وفريق معارض غير قابل[4]، به فالمؤيدون لا يريدون شيئاً إلا أن يثبتوا للعالم أجمع أن القرآن

---

(1) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢٨٨.

(2) فقد عرف التفسير العلمي بأنه "التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم والكشف عن سر من أسرار إعجازه من حيث إنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن، فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر ولكنه من عند الله خالق القوى والقدر"، انظر: التفسير العلمي في الميزان، د. احمد أبو حجر ص: ٦٦.

(3) يقف على رأى المؤيدين الإمام الغزالي، وابن أبي الفضل المرسي والسيوطي، ومن المعاصرين محمد عبده، والجوهري طنطاوي والكواكبي و د. محمد عبد الله دراز، انظر: التفسير والمفسرون ٤٩٧/٢، كيف نتعامل مع القرآن؟ د. يوسف القرضاوي ٣٧٤، والتفسير العلمي في القرآن في الميزان، أحمد أبو حجر ص: ٩٣ وما بعدها.

(4) ويقف على رأس المعارضين: الشاطبي وتابعه من المعاصرين الشيخ شلتوت، وأمين الخولي، ومصطفى المراغي، وسيد قطب والشيخ عبد الله المشد، انظر: بحوث في أصور التفسير ومناهجه ٩٨ مقدمه تفسير الشيخ شلتوت ص: ١١وما بعدها، والإسلام والطب الحديث، د/عبد العزيز إسماعيل ص: ٤٩٥، وفي ظلال القرآن ١٨٠/١-١٨١، والتفسير .. معالم حياته .. منهجه اليوم، أمين الخولي ص: ٢٣.

من عند الله، وأن منزل القرآن هو خالق الكون الذى يعلم السر وأخفى، وقد ضمنه هذه الحقائق العلمية[1]، وقد أقاموا على ذلك أدلتهم[2].

وأما المعارضون فإنهم يرون أن المقررات العلمية تكون عرضة للتبديل والتغيير، وهم لا يريدون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعجلة المتغير، وكفى القرآن شرفاً ومجداً أنه حث على العلم والبحث والنظر، ولم يقف حجر عثرة فى سبيل التقدم العلمى والفكرى[3]، وأخذوا يستدلون على تقرير هذا المعنى وتأكيده[4].

---

(1) التفسير العلمى فى القرآن فى الميزان، د. أحمد أبو حجر ص: ٩٣.

(2) تتلخص أدلتهم فى الاستدلال بقوله تعالى "ما فرطنا فى الكتاب من شئ" سورة الأنعام الآية رقم ٣٨، ووجه الدلالة من الآية: أن كتاب الله اشتمل على كل شئ ومنها أنواع العلوم، فليس فيها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض .. إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات، انظر: الإتقان فى علوم القرآن ١٢٩/٢، أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض والآفاق والأنفس، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل فى أحوالها جائزاً ما ملأ الله كتابه بها وأنه يملأ النفس إيماناً بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان فى تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات، انظر: بحوث فى أصول التفسير ومناهجه ص: ٩٨، ومقدمة تفسير الشيخ شلتوت ص: ١٢.

(3) انظر العلم والإيمان فى بناء المجتمعات، د. عبد الغنى الراجحى ص: ٢٢٣.

(4) ومن أدلتهم على معارضة التفسير العلمى أن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأن تناول الآيات بهذا اللون من التفسير يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التى تحتملها ألفاظ النص القرآنى، لأنه سيؤدى إلى التأويل المستمر مع التحمل والتكلف لنصوص القرآن كى نحملها ونركض بها وراء الفروض والنظريات التى لا تثبت ولا تستقر، وكل ذلك لا يتفق وجلال القرآن، انظر: فى ظلال القرآن ١٨١/١، ومقدمة تفسير الشيخ شلتوت ١٣.

غير أن الملاحظ على كلا الفريقين أنهما لم يلتقيا على مورد واحد ولم يتحدثا بلغة واحدة، وأن كلاً منهما يجرى فى ميدان غير ميدان الآخر، وهذا سبب أصيل من أسباب الاختلاف بين الفريقين، هذا بالإضافة إلى أن كل فريق عرض رأيه بأسلوب فرض على الطرف الآخر إنكاره والرد عليه بقسوة أحياناً، ولو حدث تحرير دقيق لأقوال كل فريق وتحقيق مناطها والانطلاق من المسلمات التى يعتقدها الطرفان فيما يتعلق بنظرتهما للقرآن، مع استبعاد الممارسات الخاطئة والمبالغ فيها أحياناً لأمكن الالتقاء، وجاز الاتفاق، ولأصبح الأمر أشبه ما يكون بالخلاف اللفظى، بل هو بالفعل خلاف لفظى.

فالفريقان لم يختلفا، بل إن كلاً منهما مسلم بإعجاز القرآن ومقر بأنه حقيقة قرآنية وأن كل واحد منهما يدعو فيما يدعو إلى التدبر والتفكر فى خلق السماوات والأرض، إلا أن فريقا منهما رأى أنه طالما أن الإعجاز العلمى حقيقة قرآنية واقعة فلماذا لا نطبقه على الآيات الكونية آية آية ونربطه بالحقائق العلمية حقيقة حقيقة؟! والفريق الآخر امتنع عن تطبيق قاعدة الإعجاز العلمى بصورة جزئية مفصلة ليس خشية على القرآن من المصادمة مع الكون ولكن لعدم الثقة فى مداركنا نحن البشر فقد نحسب رأياً علمياً أو نظرية علمية حقيقة علمية، فما تلبث قليلاً إلا وتتقوض بعد رسوخ، وتتزعزع بعد ثبوت، ولات حين مناص نقع فى الحرج الشديد فيكَذَّب القرآن وهو الصادق فتكون البلية[1].

---

[1] اتجاهات التجديد فى مصر فى العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ٦٨٦.

إن أكثر ما يخشاه المعارضون للتفسير العلمي هو المبالغة والتحمس في ربط النص القرآني بكل مستحدث من النظريات، دون الاستيثاق من صحته أو التأكد من يقينيته، ثم الزم بأن هذا هو معنى النص القرآني أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقة هذه النظريات من زمن إلى زمن، ومن تفكير إلى تفكير، أو أن يتعسف المفسر في تحميل النصوص ما لا يمكن أن تحتمله إذ أن العقل المحايد يستطيع بسهولة أن يكتشف تعسف التأويل، وحينئذ تكون النتيجة على حساب الإسلام وليست لحسابه[1].

وعملاً بالقولين فبالإمكان القول بأنه "لا قبول ولا إنكار للتفسير العلمي بإطلاق[2]، بمعنى أنه لا بأس من إيراد الحقائق العلمية الثابتة[3]، التي لا تقبل الشك عند تناول ما له علاقة بذلك من النص القرآني، مع إدراك معنى النص وفهمه الفهم السليم الخالي من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية، وهذا كله مشروط بالآتي:

---

(1) الفلسفة القرآنية ص: ١٧٣.

(2) مدخل إلى تفسير القرآن، د. عدنان زرزور ٢٤٣.

(3) الحقيقة العلمية: هي التي تمثل أصلب أرضية تقف عليها أقدام الباحثين في كل عصر، وهناك حقائق لا يتوصل إليها عن طريق التجربة الحسية البسيطة، وهناك حقائق لا يتوصل إليها إلا باستخدام آلات معقدة جداً هي بدورها نتيجة اكتشافات علمية أخرى، وهناك حقائق علمية تنتج من التفكير المجرد عن طريق الاستنباط العقلي والبرهان النظري البحث، انظر: أصناف المعرفة ومستويات الإيمان، د. عبد الوهاب بوحديبة، منشورات مجلة الحياة ص: ٣٠.

أولاً: ألا تفسر الآية الكونية، إلا بالحقائق العلمية التى ارتفعت من درجة الفروض[1]، أو النظريات العلمية[2]، إلى مقام اليقينيات الذى لا يمكن أن يتطرق إليها التغيير والتبديل، ولا يقال إن العلم ليس فيه حقائق ثابتة إلى الأبد، فكم من قضايا كانت يوماً –بل ظلت قروناً وقروناً- حقائق مقدسة ثم ذهبت قدسيتها، وأثبت التطور العلمى عكسها .. وهذا صحيح، ولكن حسبنا الثبات النسبى للحقائق، فهذا هو الذى فى مقدورنا بوصفنا بشراً، وقد قيل فى **تعريف التفسير:** هو بيان المراد من كلام الله بقدر الطاقة البشرية[3].

ثانياً: ألا نتحمل ولا نتعسف ولا نتكلف حمل النص على المعنى الذى نريد استنباطه، وإنما نأخذ من المعانى ما ساعدت عليه اللغة واحتملته العبارة دون قسر، وأن يُراعَى سياق النص[4].

---

(1) الفرض العلمى: هو رأى يحاول به الباحث تفسير ظاهر شاهدها فى مجال الطبيعة أو فى ميدان من مبادئ العلم المختلفة، وكل فرض علمى قابل للصحة كما هو قابل للبطلان أو التعديل، وصحته أو تعديله أو بطلانه أمور تظهر أثناء التجربة والاختبار، انظر: أصناف المعرفة ومستويات الإيمان ص: ٣٠.

(2) النظرية العلمية: كل فرض يجب أن يخضع لتجارب واختبارات متعددة، ونتائج تلك التجارب هى التى تقرر مصير، فإذا ما تكاثرت النتائج المؤيدة للفرض إلى أن غلبت عند الباحث نسبة صحته أصبح نظرية علمية، انظر: أصناف المعرفة ومستويات الإيمان ص: ٣٠.

(3) انظر: كيف نتعامل مع القرآن؟ د. يوسف القرضاوى ص: ٣٨٢، وهو تعريف الشيخ عبد العظيم الزرقانى فى مناهل العرفان ٣/٢ وانظر: التفسير والمفسرون للذهبى ١٥/١.

(4) الإسلام فى عصر العلم ٢٥٠.

ثالثاً: ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز، أما إن أسرف المفسر واشتغل بتفريعات العلوم والمباحث الأدبية، ونظريات الفنون الكونية، فقد انعكست الآية، ولم يعد التفسير تفسيراً، بل يصبح أشبه بكتب العلوم والفنون منه بكتب التفسير[1].

ذلك أن القرآن الكريم لم يتخذ العلوم الكونية موضوعاً من موضوعاته الأساسية، بل كان غرضه الأكبر هو هداية الناس، فهو لم يضع نظريات في العلوم، وليس يرفع من قدره أن يفعل ذلك، لأن هذه العلوم إذا خلت من الهداية تحولت إلى نقمة تحيق بالإنسانية، كما هو مشاهد لنا على مستوى الأفراد والجماعات والدول. فحسب القرآن أن ينشئ المجتمع الفاضل، لكنه في الوقت نفسه قد أرسى أسس تقدم العلم، بما رسخ من مفاهيم صحيحة وأبطل من أفكار زائفة[2].

رابعاً: ألا تُذكر هذه الأبحاث العلمية على أنها التفسير الذى لا يدل النص القرآنى على سواه، بل تُذكر لتوسيع المدلول وللاستشهاد بها على نحو لا يؤثر بطلابها فيما بعد على قداسة النص القرآنى[3].

خامساً: أن تُستغل تلك البحوث العلمية لدفع المسلمين إلى النهضة من خلال لفت أنظارهم إلى جلال القرآن وعظمته، الأمر الذى يولد فى نفوسهم

---

(1) مناهل العرفان للزرقانى ١٠١/٢.

(2) علوم القرآن الكريم، د. نور الدين عتر ٢٣٦.

(3) مجلة كلية أصول الدين، القاهرة، العدد الثانى ص: ٥٨، من مقال د. مصطفى مسلم، نقلاً عن كتاب بحوث فى أصول التفسير ص: ٩٥.

إرادة الانتفاع من هذا الكون الذى سخره الله للبشرية، حتى يعاد للأمة مجدها المفقود[1].

ولهذا فإنه قد سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن بعض الظواهر الكونية فأجيبوا بوظيفتها لا عن طبيعتها أو كيفية عملها، لأن الشريعة ربطت بهذه الوظيفة أو أناطت بها بعض الأعمال والتكاليف الشرعية فى سياق كون القرآن كتاب هداية وتشريع، وتأكيداً على أن معرفة هذه الطبيعة أو اكتشافها إنما هو من عمل التجربة والعقل الإنسانى فى سائر العصور[2]، فلقد جاء أن قوماً سألوا النبى ﷺ عن الهلال "ما سبب محاقه وكماله" ومخالفته لحال الشمس فأنزل الله: (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) [3].

أشهر تفاسير الاتجاه العلمى الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهري[4].

---

[1] مناهل العرفان للزرقانى ٢/١٠٢.

[2] بحوث فى أصول التفسير، د. فهد الرومى ص: ١٠٠.

[3] رواه ابن كثير فى تفسيره عن العوفى عن ابن عباس أنه قال "سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة فنزلت هذه الآية "ويسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج" يطمون بها حل دينهم، وعدة نسائهم ووقت حجهم، انظر تفسير ابن كثير ١/٢٩٥.

[4] طنطاوى بن جوهرى المصرى، عالم أديب، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد سنة ١٢٨٧هـ التحق بالأزهر، وتخرج بدار العلوم، وعنى بدراسة الإنجليزية، مارس التعليم فى بعض المدارس، من أهم مؤلفاته: الجواهر فى تفسير القرآن الكريم، وجواهر العلوم والحكمة والحكماء، توفى سنة ١٣٥٩هـ انظر: الأعلام ٢٣٠-٢٣١ ومعجم المؤلفين ٢/١٥.

التفسير البيانى:

شهدت حركة التفسير فى العالم الإسلامى الحديث اتجاهاً أوسع آفاقاً وأعمق تأملاً، وأكثر صلة بالفكر الحديث، وأغزر إضافة إلى التراث التفسيرى ... ذلك هو الاتجاه الأدبى[1]، وهو الاتجاه الذى يتناول القرآن من وجوه إعجازه البيانى من حيث البلاغة والفصاحة، وحسن الأداء، وجمال المنطق وسلامة التعبير من خلال قيام الدارس على دراسة النص القرآنى، وتحليله على نحو ما يفعل فى سائر النصوص الأدبية العالية من منظوم ومنثور — وإن كان لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم فى إعجازه البيانى— وليس فى هذا ما يخرجنا من نطاق "التفسير" إلى نطاق "الأدب" من وكل وجه، لأن التحليل الأدبى للقرآن لا يستغنى عن بعض قواعد التفسير، وحتى لا يخطئ الدارس فى فهم المعنى المراد ويضيع عليه المفردات والتراكيب ونواحى البيان[2].

ولا يخفى أن اهتمام المفسر بهذه الوجوه البلاغية والصور البيانية قديم ربما قدم نزول القرآن على النبى ﷺ، بدءاً من تفوق ابن عباس رضي الله عنهما فى جمعه لوسائل معرفة الألفاظ والتراكيب اللغوية من خلال اطلاعه الواسع وإلمامه الجامع لإنتاج العرب من شعر ونثر ودلالات ألفاظ، "ثم ظهرت المؤلفات العديدة فى عصر التدوين مثل "مجاز القرآن" لأبى عبيدة وكتاب "معانى القرآن" للفراء وكتاب "نظم القرآن" للجاحظ. وتتابعت المؤلفات

---

[1] انظر: الفكر الدينى فى مواجهة العصر، د. عفت الشرقاوى ص: ٥٩٣.

[2] مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د. عدنان زرزور ٢٢٤.

فظهرت كتب عديدة تناولت إعجاز القرآن من هذا الجانب، وكتب تناولت التفسير كله وأولت البيان عناية كتفسير "الكشاف" للزمخشري، واعتنت كتب بالمناسبات وهي من أوجه البيان كـ "نظم الدور في تناسب الآيات والسور" وكتاب السيوطي "تناسق الدر في تناسب السور"[1]، غير أن اعتبار التفسير البياني من اتجاهات التجديد التفسيري في العصر الحديث يرجع إلى أمرين ذكرهما الدكتور فهد الرومي في موطنين من كتبه:

الأول: أن هذه الدراسات القديمة كانت وسيلة وليست غاية، بمعنى أن المفسر كان الأصل عنده الاعتناء بالمفهوم القرآني إبراز معانيه في أبهى صورها البيانية، وكان يتخذ الكشف البياني وسيلة له في الكشف عن هذا المعاني والمرادات القرآنية، أما الدراسات البيانية في عصرنا الحديث فهي تدرس النص القرآني، وقصدها الأول أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك[2].

الثاني: أن المؤلفات القديمة لم تؤصل هذا المنهج وتحدد معالمه، بمعنى أن تصوغه في إطار بارز محدد المنهج والضوابط والمعالم، وإنما تناول كل منها جانباً أو جوانب معدودة، دون أن يكون له منهج عام وواضح[3].

وهناك سبب ثالث ذكره د. محمد إبراهيم الشريف، وهو "أن المفسر الأدبي المعاصر قد أخذ على المفسر القديم عدم التنبيه لهذه المسألة، وهي أن

---

[1] انظر: بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان الخطابي ص: ٦٥.

[2] انظر: بحوث في أصول التفسير، د. فهد الرومي ١٠٦-١٠٧.

[3] انظر: بحوث في التفسير، د. فهد الرومي ص: ١٠٧.

تفسير القرآن سوراً أو أجزاءَ لا يمكّن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه، إلا أن يقف المفسر عند الموضوع يستكمله في القرآن ويستقصيه إحصاءً فيرد أوله إلى آخره ويفهم لاحقه بسابقه، فأراد المفسر المعاصر أن يستدرك هذا الأمر باستحداث منهج أدبي متكامل يجمع الموضوع ويستقصيه في كل القرآن لتكون الصورة كاملة وواضحة[1]، ويعتبر الشيخ محمد عبده "أول من وضع بذور هذا الاتجاه في العصر الحديث، إلا أنها كانت لمحات مبعثرة هنا وهناك، ولم تكن تؤلف في جملتها منهجاً أدبياً واضحاً يمكن أن ينسب إليه"[2]، إلى أن جاء أمين الخولي[3]، فعمل على ضبط منهج عام للتفسير البياني، ووضعه في إطار عام متكامل ذي معالم وأسس وقواعد علمية، وكان ذلك في كتابيه "التفسير معالم حياته، منهجه اليوم"، وكتاب "مناهج التجديد" ثم جاءت من نسجت على منواله وحاولت مجاراته وهي الدكتورة عائشة عبد الرحمن[4].

---

(1) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ص: ٤٦٦.

(2) الفكر الديني في مواجهة العصر، د. عفت الشرقاوي ٣٠٢.

(3) أولد سنة ١٨٩٥م تخرج بمدرسة القضاء الشرعي ١٩٢٠م اختير مدرساً بها تدرج في المناسب الجامعية، أنشأ هو وتلامذته مدرسة أدبية هي الإمناء نسبة إليه، حضر عدداً من المؤتمرات أشهر التفسير مؤلفاته التفسير عالم حياته، منهجه اليوم توفي سنة ١٩٦٦م انظر ترجمته في منهج المدرسة العقلية في التفسير ٦٥٤١٢.

(4) تلقت العلوم الإسلامية والعربية على مناهج الأزهر الشريف وتقدمت من المنزل لامتحان الكفاءة سنة ١٩٢٩ إلى أن حصلت على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٥٠، تدرجت في المناصب الجامعية حتى استقرت أستاذة للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة جامعة القرويين انظر تقرير عن الشخصيات المرشحة لجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام ١٤٠٣هـ ولم تحصل عليها.

خطوات التفسير البيانى

أولاً: أن يجمع المفسر الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض فى نسق واحد متسلسل، فإن الذى يفهم جملة من النصوص بموضوع واحد إنما يصل إلى صحيح معناها ودقيقة بمعرفة سابقها ولاحقها، متقدمها ومتأخرها، إذا ما كان الزمن قد تباعد بين تلك النصوص[١].

ثانياً: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها[٢].

ثالثاً: أن يقوم بدراسة عامة للبيئة التى نزل بها هذا النص كالبيئة المادية فى الأرض والسماء والجبال ... والبيئة المعنوية من تاريخ هذه الأمة ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها، لأن هذا المتفهم للقرآن محتاج إلى إدراك المناسبات والملابسات والأسباب التى أحاطت بما يفهمه من النصوص، إذ هى أضواء لابد منها لاستجلاء المعنى[٣].

رابعاً: دراسة النص القرآنى فى مقرراته وذلك من خلال ملاحظة الآتى:

- فهم حقائق الألفاظ المفردة.
- دراسة استعمالاتها فى القرآن الكريم فى مواضع مختلفة ومدلولها فى كل موضع[٤].
- وموافقة اللفظ لما سبق من القول.

---

[١] مناهل التجديد، أمين الخولى ٣٠٥.

[٢] المرجع السابق ٣٠٥.

[٣] المرجع السابق ٣٠٦.

[٤] بحوث فى أصول التفسير، د. فهد الرومى ص: ١٠٨ وما بعدها.

- اتفاقه مع جملة المعنى.
- ائتلافه مع القصد الذى جاء به الكتاب بجملته[1].

خامساً: دراسة النص القرآنى فى معانية المركبة[2].

سادساً: دراسة أساليب القرآن ومعرفتها والإحاطة بها للتفطن إلى نكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه، وذلك بقدر الطاقة البشرية، ويتوفر هذا من خلال الإعراب ودراسة الأساليب والمعانى والبيان[3].

ومن الإنصاف أن نذكر أن هذا المنهج البيانى "يشكل أول دعوة واضحة محددة فى تاريخ التفسير تدعو إلى تفسير القرآن على أساس موضوعاته، بعد أن كانت وظيفة التفسير لا تعدو أن تكون أكثر من محاولة للفهم الحرفى الجزئى لنكتاب الكريم، فى حين أن هذه الوظيفة يجب أن تتجاوز ذلك إلى محاولة إدراك المفهوم القرآنى الكلى[4].

هذا بالإضافة إلى أن من محاسن هذه المدرسة لفت الأنظار والعقول والقلوب إلى حلاوة القرآن وعذوبة معانيه والتعرف على بلاغته وفصاحته، فإن من النفوس من لا يتعظ قلبه ولا تطمئن نفسه بوعد الله وتخشع لوعيده إلا

---

[1] تفسير المنار ١٩/١.

[2] بحوث فى أصول التفسير، د. فهد الرومى ص: ١٠٩.

[3] تفسير المنار ٢٣/١.

[4] هوامش على المنهج الأدبى للتفسير، عبد الله خورشيد، مجلة الثقافة الشهرية ٢٢ نوفمبر عدد ١٩٧٥ مصر.

إذا عرف معانيه وذاق حلاوته، وعاش معه آناء الليل وأطراف النهار متفكراً متدبراً[1].

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن أحد رواد هذا المنهج ومؤسسيه: "إن الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هى ما يجب أن يتقدم كل دراسة أخرى فيه، لا لأنه كتاب العربية الأكبر فحسب، ولكن -كذلك- لأن الذين يعنون بدراسة نواحٍ أخرى فيه، والتماس مقاصد بعينها لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئاً، دون أن يفقهوا أسلوبه الفذ، ويعتدوا إلى أسراره البيانية، كيلا يختلط عليهم الأمر أو يغيب عنهم شئ من مدلول اللفظ القرآنى وإيحاء التعبير به فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية أو يتبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية، أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم تفسيراً عاماً على النحو الذى ألفناه فى كتب التفسير، فهو مطالب بأن يهيأ أولاً لما يريد، ويعد لمقصده عدته من فهم مفردات القرآن وأساليبه فهماً يقوم على الدرس الأدبى المتذوق والمدرك لأقصى ما يستطيع من إيحاء التعبير"[2].

أشهر تفاسير الاتجاه الأدبى "دراسات من هدى القرآن" وهى سلسلة كان يصدرها أمين الخولى تحتوى على موضوعات عديدة.

---

[1] تفسير المنار ١٨٢/١.

[2] التفسير البيانى للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن ٧/١.

التفسير الاجتماعي

حينما أصاب الأمة الضعف، وابتليت بالتمزق وتسلل إليها التمزق، وتفشى الانحلال، اتجه طائفة من المفسرين يعتنون بالنظر إلى القرآن من زاوية الإصلاح الاجتماعي، وكيف أن القرآن يصلح، ويزكى المجتمعات، ويطهرها من دنس المعاصي والانحرافات، فأخذوا يتوسعون في تفسير القرآن، طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم، فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه، ويتعرف على علته، حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج، فإذا وجده توسع في شرحه وبيانه، وحث قومه على التزامه، فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير وهو الإصلاح الاجتماعي[1].

وذلك من خلال اتجاه هدائي يرشد فيه المفسر الناس إلى "فهم مراد القائل من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ليتحقق فيه معنى قول ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾[2]، وهو اتجاه أدرك المحدثون قيمته حين عرفوا أن ضعف اهتداء الناس بالقرآن في عصور التخلف والانحلال لم يكن إلا نتيجةً لخلو تفسيره من تطبيق عقائده وأحكامه على أحوال الناس وشؤونهم، ومن هنا كان فضل رواد التجديد التفسيري وجهدهم بارزاً في النهوض بالفكر الإسلامي إلى عصور ازدهاره السابقة، والعودة بالقيم القرآنية إلى مكانها الفعلي من حياة الناس العلمية، بعد أن عاش المسلمون قروناً طويلة

---

[1] بحوث في أصول التفسير، د. فهد الرومي ١٠٥.

[2] سورة الأعراف الآية: ٥٢، انظر: تفسير المنار ٢٥/١.

يحسبون القرآن وسيلة للعبادة والحياة الروحية فحسب وليس صراطاً مستقيماً إلى معالجة شئون الحياة[1]، فأكثر المسلمين قد هجروا القرآن وباتوا يجهلون أن فيه كل ما يحتاجون إليه من حياة روحية وأدبية، وقوة سياسية وحربية، وثورة وحضارة، يجهلون أن له تأثيراً صالحاً فى حياتهم المعيشية والمدنية والسياسية[2].

وليس من الغريب أن يجد الباحث فى التفسير محاولات متعددة يحاول خلالها رسم مثل عليا للمجتمع الذى يعيش فيه واستنباط معانٍ هادفة يلح على توضيحها، فإن الصلة بين النص القرآنى وبين الإصلاح الاجتماعى قديمة قدم القرآن فى الناس، وفى القرآن من الآيات ما يسعف على إقامة مجتمع مثالى، ولقد كان المفسر الحدث أكثر تنبيهاً إلى واقع مجتمعه خلال تفسيره، بحيث نستطيع أن نقول إن التفسير الحديث قد أدى دوراً رئيسياً فى الخدمة الاجتماعية بمعناها الواسع[3].

وجدير بنا أن نذكر أن هذا الاتجاه الإصلاحى الذى اتجه إليه فريق من المفسرين لم يكن بدعاً من الأمر أو استحداثاً لمنهج لم يكن موجوداً من قبل، فمن المؤكد أن المفسر القديم كان يتعرض فى تفسيره للآيات ذات الطابع الأخلاقى والاجتماعى، ولكنه كان يمر عليها مروراً عارضاً ودون طول توقف أمامها، وذلك أن عوامل الانحراف الاجتماعى والأخلاقى -إذا ما

---

(1) اتجاهات التجديد فى مصر فى العصر الحديث، د. إبراهيم الشريف ص: ٣١١.

(2) الفكر الدينى فى مواجهة العصر، د. عفت الشرقاوى ٢٨٧.

(3) المرجع السابق ٩٧.

قيست بزماننا- لا تكاد تذكر، أو أنها لا تمثل ظاهرة اجتماعية شرعية تمثل إشكالية علمية فى التفسير، لينقطع المفسرون أو المصلحون للنظر والتأمل فيها، أو لم يكن الأمر ليحتاج أن يصاغ له قالب منهجى جديد فى التفسير.

غير أن الأمر قد اختلف فى زماننا هذا "فكان لابد لمن يتناول تفسير القرآن الكريم فى واقعنا المعاصر أن يقف عند الآيات ذات الطابع الأخلاقى والاجتماعى ويطيل الوقوف أمامها ويربط بينها وبين ما هو سائد فى المجتمع ليشخص الداء ويصف الدواء، وأن يبين للناس الأخلاقى السامية، والصفات الحميدة التى يجب على كل فرد أن يتحلى بها، وأن يكشف لهم ما هو عليه من المنكرات والبدع ويشرح لكل فرد من أفراد أمته حقوقه التى شرعها الله له، وأن يقرن هذا البيان القرآنى بالبيان النبوى ليتضح المعنى وتتحدد الأهداف[1].

وقد نسب هذا الاتجاه إلى مدرسة "تفسير المنار" بعد أن قدموا التفسير للناس بصورة جديدة تعالج أوضاع الأمة الإسلامية، فدعوا إلى الوحدة الإسلامية، وتوجهت إليها أفكارهم وطالبوا بوحدة إسلامية جامعة شاملة لكل المسلمين، كما دعوا إلى الحرية بمفهومها الإسلامى، وانطلقوا منظِّرين لمنهج إصلاحى شامل للأمة الإسلامية، فتحدثوا عن الإصلاح والتعليمى والتربوى والاقتصادى[2].

---

[1] انظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير، د. فهد الرومى ص ٣٨٤.

[2] يراجع فى ذلك بحث "منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير" وهو بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه، د. فهد الرومى، وقد طبعته مؤسسة الرسالة، سوريا، كما يراجع الجزء الخاص بالمدرسة العقلية فى بحث "اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى لنفس الباحث" ص: ٧٨٠.

أشهر تفاسير الاتجاه الاجتماعي

تفسير المنار –محمد عبده– محمد رشيد رضا[1].

تفسير المراغي –الشيخ مصطفى المراغي[2].

تفسير القرآن الكريم –محمود شلتوت[3].

الدراسات المصطلحية للمفردات القرآنية

انتهاج الدراسة المصطلحية سبيلاً لبيان المفاهيم منهج مبكر ذلك أنه من سبيل أحكم إلى معرفة العلوم من مفاتيحها، ومفاتيح العلوم مصطلحاتها غير أن الجديد هو استخدم تلك المنهجية في التعرف على دلالات القرآن ويعود ذلك إلى ما تشهده العلوم اليوم من تطور.

ومع أن اهتمام اللغويين والمفسرين بالمفردة القرآنية بدأ مبكراً منذ القرون الثلاثة الأولى، متمثلاً في كتب المعاني وكتب الغريب وكتب المجاز ثم تطور هذا الاهتمام فأفردت له معاجم خاصة كان لبعضها ارتباط بالجانب

---

(1) هو محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد البغدادي الأصل، الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، لازم الشيخ محمد عبده، وتتلمذ على يديه، أنشأ مجلة المنار، نزع إلى مذهب السلف، أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، توفي فجأة ودفن بالقاهرة، انظر: الأعلام ١٢٦/٦، معجم المؤلفين ٢٩٣/٣.

(2) هو محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، من دعاة التجديد والإصلاح، ولد بالمراغة بصعيد مصر، تتلمذ على يد الإمام محمد عبده بالقاهرة، تولى القضاء في السودان، حنفي المذهب، عين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م توفي سنة ١٩٤٥، انظر :الأعلام ١٠٣/٧ .

(3) محمود شلتوت فقيه، مفسر، مصري تخرج بالأزهر، فصل من الأزهر لمعارضته بعض الشيوخ لكنه عاد أقوى مما كان، فعين وكيلاً لكلية الشريعة، ثم عضواً بلجنة كبار علماء الأزهر، ثم عين شيخاً للأزهر عام ١٩٨٥م إلى وفاته، انظر: الأعلام ١٧٣/٧.

اللغوى المعجمى ولبعضها ارتباط بالجانب التفسيرى إلا أن المتغيرات التى أخذت فى التنامى فى العصور المتأخرة جعلت من دراسة المصطلحات القرآنية ضرورة تجديدية وواجباً تفسيرياً، فإن بالدراسة المصطلحية تحقق الألفاظ فترد إلى معانيها الحقة، ويزول اللبس، وتنكشف الحقائق غير أن أهم المرجبات لدراسة المصطلح القرآنى هى:

ترسيخ المفاهيم الصحيحة:

فلا شك أن ضبط المفاهيم وكشف الغطاء عن معانيها ودلالاتها يعد من أهم موجبات دراسة المصطلح القرآنى فكم من مصطلحات سئ فهمها وتسرب اللبس –فى عقول الناس– إلى معانيها ومراد الله عز وجل منها بسبب عياب مثل هذه الدراسة وكم من مصطلحات حرفت مفاهيمها فجر تحريفها على الأمة سيلاً من الاختلاف والفرقة والشقاق.

إن أهم ما تقوم به الدراسة المصطلحية لترسيخ المفاهيم القرآنية الصحيحة:

- أنها تعيد إدخال هذه المصطلحات فى الوعى العقدى للأمة بحيث تصبح تتنزل فى الأذهان على أنها أسس من الدين وإن الإخلال بها إخلال بالدين.
- أنها تسهم فى إحداث فهم متكامل لمصطلحات القرآن الكريم.
- تصحيح الفهوم الخاطئة.
- نفخ روح العمل بألفاظ القرآن الكريم.

ولهذا المقصد منزلتان:

الأولى: إشاعة هذه المصطلحات بين الناس باستعمالها نطقاً وخطا حتى تألفها الأسماع وتأنس بها القلوب بعد أن صارت مستهجنة في نظرهم يخجل بعضهم من ذكرها كمصطلحات الجهاد والقتال والمرابطة والخلافة..

الثانية: العمل بمقتضياتها باللسان والقلب والجوارح، ذلك إن المصطلحات القرآنية منها ما يكون مقتضاها الإيمان والاعتقاد وتطبيق أحكام تعبدية.

تعريف الدراسة المصطلحية لمفردات القرآن بأنها "ضرب من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم، وفق منهج خاص بهدف تبين وبيان المفاهيم التي عبر عنها القرآن"[1].

قد يظن أن الدراسة المصطلحية باعتبارها تدرس المفردة أقرب ما تكون إلى الدراسة الموضوعية أو البيانية، والحق أن الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن — وإن كانت تلتقي في بعض جوانبها بالتفسير الموضوعي فهي تختلف معه في المنهج والغرض.

أما على مستوى المنهج فإن أهم ما يميز الدراسة المصطلحية عن التفسير الموضوعي كما هو شائع ارتكازها على آليات منهجية محددة مستمدة من روح المنهج الوصفي كالإحصاء والاستقراء والوصف الدقيق في حين يفتقد المنهج التفسيري لمثل هذه الإجراءات، أما على مستوى الغرض فالدراسة المصطلحية تهدف أساسا إلى تحديد مفهوم المصطلح المدروس في

---

[1] نظرات في الدراسة المصطلحية، د. الشاهد البوشيخي ص: ٣.

حين يهدف التفسير الموضوعي إلى تفسر تلك النصوص من خـــلال دراســـة الكلمات والألفاظ الدائرة فيها.

وللدراسة المصطلحية منهج خاص يتسم بالعمق والدقة والموضوعيـــة يمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

مرحلة الدراسة وتشمل:

١-الإحصاء.

٢-الدراسة العجمية.

٣-الدراسة النصية.

٤-الدراسة المفهومية.

مراجع البحث ومصادره

- إدارة الأزهر.
- تفسير التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور.
- تفسير القرآن العظيم ابن كثير.
- تفسير المنار.
- تفسير جامع البيان للطبرى.
- تفسير فتح القدير للشوكانى.
- تفسير فى ظلال القرآن سيد قطب.
- ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة د. عبد الحليم عويس.
- درء تعارض صحيح المنقول مع صريح المعقول لابن تيميه.
- دراسات فى الثقافة الإسلامية –مجموعة أبحاث- جامعة الكويت.
- ربانية لا رهبانية لأبى الحسن الندوى إحياء علوم الدين لأبى حـامد الغزالى.
- أصناف المعرفة ومستويات الإيمان د. عبد الوهاب بوحديبة.
- اتجاهات التجديد فى مصر فى العصر الحديث د. إبراهيم الشريف.
- اتجاهات التفسير فى القرآن الرابع عشر. فهد الرومى.
- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه.
- البرهان فى علوم القرآن للسيوطى.
- البرهان فى علوم القرآن للزركشى.
- التجديد فى الإسلام – من إصدارات دار المنتدى لندن.

- التفسير البيانى للقرآن الكريم د. عائشة عبد الرحمن.
- التفسير العلمى فى القرآن د. أحمد أبو حجر.
- التفسير والمفسرون للذهبى.
- الثوابت والمتغيرات فى مسيرة العلم الإسلامى. صلاح الصاوى.
- الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن قيم الجوزيه.
- الدين د. محمد عبد الله دراز.
- العقيدة الواسطية — أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه.
- العلم والإيمان فى بناء المجتمعات د. عبد الغنى الراجحى.
- الفكر الدينى فى مواجهة العصر د. عفت الشرقاوى.
- الموافقات للشاطبى.
- النبأ العظيم د. محمد عبد الله دراز.
- بحوث فى علوم القرآن د. فهد الرومى.
- بيان إعجاز القرآن أبو سليمان الخطابى.
- بينات الحل الإسلامى د. يوسف القرضاوى.
- تاريخ الأستاذ الإمام — تعليق مجلس إدارة الأزهر.
- سيد قطب الشيهد الحى د. صلاح الخالدى.
- شرح العقيدة الطحاوية — لابن أبى العز الحنفى.
- شرح صحيح مسلم للنووى.
- علوم القرآن الكريم — د. نور الدين عتر.

- فصول فى علوم القرآن د. عدنان زرزور.
- كيف نتعامل مع القرآن د. يوسف القرضاوى.
- لمحات فى الثقافة د. عمر الخطيب.
- مباحث فى علوم القرآن د. صبحى صالح.
- مباحث فى علوم القرآن د. مناع القطان.
- مجموع الفتاوى — أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه.
- مدخل فى ترشيد العلم الإسلامى د. صلاح الصاوى.
- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان زرزور.
- مدخل إلى ظلال القرآن د. صلاح الخالدى.
- مدخل إلى علوم القرآن د. مصطفى مسلم.
- مسائل فى العقيدة لابن عثيمين.
- مفهوم تجديد الدين د. بسطامى سعيد.
- مفهوم التأويل فى القرآن د. فريدة زمرو.
- مقدمة فى أصول التفسير — أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه.
- مناهج التجديد أمين الخولى.
- مناهل العرفان للزرقانى.
- مناهج السنة — أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه.
- منهج المدرسة العقلية فى التفسير د. فهد الرومى.
- نحن والقرآن محمد عبد الله السمان.
- نظرات فى الدراسة المصطلحية د. الشاهد البوشيخى.